أسلوب التقديم و التأخير بين النحو والبلاغة

شعر الهذليين نموذجاً

إعداد

مها علي محمد الشطناوي

بكالوريوس لغة عربية

جامعة اليرموك

١٩٩٦

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في جامعة اليرموك، تخصص لغة عربية - لغة ونحو -

١٩٩٨

لجنة المناقشة

١. الدكتور فايز القرعان	.....	مشرفا ورئيسا.
٢. الدكتور يحيى عبابنة	.....	عضوا.
٣. الدكتور زياد الزعبي	.....	عضوا.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

إلى الذي بعث الحياة والعزم في كل كلمة وكل حرف في رسالتي

وإلى الذي أنار الدرب أمام خطاي بما قدمه من التضحية والحب

إلى والدي

إلى التي علمتني معنى الصبر وهي الصبر نفسه

إلى والدتي

إلى اللذين واكبا مسيرة بحثي وساعداني في دربي

إلى أخوي محمد

ومنقذ

إلى اللواتي شجعنني بكلماتهن العذاب

إلى أخواتي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كلمة شكر

أود أن أقف هنا لأعبر عن امتناني وشكري لكل من واكب مسيرة بحثي، وأخص منهم الدكتور فايز القرعان الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث فلم يبخل علي بتوجيهاته وإرشاداته التي كانت خير معين، ولم يبخل علي بوقته ورعايته فكان لي خير مرشد وناصح فله مني عظيم الشكر والامتنان والعرفان.

كما أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى الدكتور يحيى عبابنة، والدكتور زياد الزعبي اللذين تفضلا بقبول قراءة هذه الدراسة، واللذين سأفيد من مناقشتهما وتوجيهاتهما لي، فلهما مني عظيم الشكر والامتنان.

ولا يمكن أن أنسى أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من أسهم في إنجاز هذا البحث، وكان عوناً لي في إتمامه.

الباحثة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الأول: الأبنية الأسلوبية للتقديم والتأخير.	١
- عناصر الجملة الأساسية	٢
أولاً- الجملة الفعلية.	٥
أ. أصالة ترتيب عناصر الجملة الفعلية.	٥
ب. أبنية التقديم والتأخير في الجملة الفعلية.	٧
أولاً تقديم الفاعل.	٨
ثانياً تقديم المفاعيل.	١٧
ثالثاً تقديم الحال.	٢٥
رابعاً تقديم المستثنى	٣٠
خامساً تقديم التمييز.	٣٢
سادساً تقديم الجار والمجرور - الظرف.	٣٥
ثانياً- الجملة الاسمية.	٣٧
أ- أصالة ترتيب عناصر الجملة الاسمية.	٣٧
ب- أبنية التقديم والتأخير في الجملة الاسمية.	٣٩
أولاً تقديم الخبر.	٣٩
ثانياً تقديم النواسخ.	٤٦
١. الأفعال الناسخة.	٤٧
٢. الحروف الناسخة.	٥٠
ثالثاً الجملة الشرطية.	٥٢
الفصل الثاني: وظيفة أسلوب التقديم والتأخير.	٥٦
أولاً- الوظائف الدلالية في الجملة الفعلية.	٦١
أولاً تقديم الفاعل.	٦١
ثانياً تقديم المفعول به.	٧١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الموضوع	رقم الصفحة
ثالثاً تقديم الحال.	٧٩
رابعاً تقديم المستثنى.	٨٠
خامساً تقديم الجار والمجرور.	٨١
ثانياً- الوظائف الدلالية في الجملة الاسمية.	٨٣
أولاً تقديم الخبر.	٨٣
الفصل الثالث: الأبنية الأسلوبية للتقديم والتأخير، ووظائفها عند الشعراء الهذليين.	٩١
أولاً- الجملة الفعلية.	٩٣
أولاً تقديم الفاعل.	٩٣
ثانياً تقديم المفعول به.	١٠٢
ثالثاً تقديم الجار والمجرور-الظرف.	١٢٠
ثانياً- الجملة الاسمية.	١٢٧
أولاً تقديم الخبر.	١٢٧
ثانياً تقديم الجار والمجرور- الطرف.	١٣٤
الخاتمة.	١٤٠
المصادر والمراجع.	١٤٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حفل الدرس النحوي العربي بدراسة التراكيب اللغوية، وعلاقة الكلمات التي تؤلف الجملة العربية بعضها إلى بعض، فوصف النحاة ترتيب عناصر الجملة، ثم عالجوا قضايا تتعلق بالتراكيب اللغوية: كالحذف والإثبات، والفصل والوصل، والتقديم والتأخير، وقد تضمنت دراساتهم جوانب دلالية مختلفة، تُلمح في كتبهم وإن لم تكن موسعة أو شاملة.

كانت قضية التقديم والتأخير من القضايا التي درسها النحاة، إذ رأوا أن بعض عناصر الجملة العربية تتمتع بحرية الانتقال، وتغيير مواقعها داخل الجملة، فمن هذه العناصر ما يتقدم على نية التأخير، ومنها ما يتقدم لا على نية التأخير. وقد التفت النحاة إلى الاختلاف في المعنى الذي ينتج عن اختلاف ترتيب عناصر الجملة، فأشاروا إلى ذلك في ثنايا كتبهم إشارات عجلى، حيث لم يكن النحاة يطيلون الوقوف عند الجوانب الوظيفية بسبب إنشغالهم بقضايا نحوية إخرى.

بقي الأمر على تلك الحال، إلى أن جاء **عبدالقاهر الجرجاني** (ت ٤٧١ هـ)، فاستفاد مما كتبه النحاة، وجعل لدرس التقديم والتأخير فصلاً مستقلاً في كتابه "دلائل الإعجاز"، حيث أكد ارتباط علم المعاني بعلم النحو، فقد كان يرى أن التركيب النحوي الصحيح هو الذي يأتي بوظائف مختلفة، فليس النظم عنده " إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل منها بشيء"[1].

---

[1] دلائل الإعجاز: عبدالقاهر الجرجاني، صححه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة/بيروت، ١٩٧٨، ٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العلاقة وثيقة إذن، بين علمي النحو والمعاني، فكلاهما يتناول الجملة تركيباً ثم دلالةً، ومن هنا كانت هذه الدراسة، لتشكل حلقة من حلقات الوصل بين علمي النحو والبلاغة، فهي تؤكد أهمية الاتصال بين العلمين، باعتبار أن النحاة هم واضعو الأسس الأولى لعلم البلاغة، وأن البلاغيين قد بنوا علم البلاغة على تلك الأسس، وقد أكد اللغويون المحدثون أهمية الصلة بين علمي النحو والبلاغة، يقول تمام حسان: " النحو بغير المعاني جفاف قاحل، والمعاني بغير النحو أحلام طافية، ينأى بها الوهم عن رصانة المطابقة العرفية، وينحاز بها إلى نزوات الذوق الفردي"[1].

بدأت استطلع أمر الصلة بين علمي النحو والبلاغة، فبدأت أبحث أولاً في كتب البلاغة متكئةً بشكل كبير على كتاب "دلائل الإعجاز" في كثير من الأحيان الذي حوى نظرية النظم التي تنادي بأهمية علم النحو عند دراسة التأليف في الجملة، فكانت الأبنية الأسلوبية لظاهرة التقديم والتأخير – التي اخترتها مجالاً للدراسة – هي الأبنية نفسها التي نصَّ عليها النحويون.

وبحثت بعد الاطلاع على كتب البلاغيين في كتب النحويين محاولةً أن أجد دراساتهم للمعنى، وللوظائف التي تنتج عن ظاهرة التقديم والتأخير، فوجدت عندهم وظائف عديدة سبقوا البلاغيين إليها، ومن هنا بدأت أعدُّ للأمر عدته، وأدرس الأمر بجدّ، وبمعاونة من الأستاذ المشرف خرجت هذه الدراسة.

وقد اخترت شعر الهذليين نموذجاً للتطبيق، فتناولت الجمل التركيبية، واستخرجت أنماط التقديم والتأخير منها، ثم حلّلتُ الشواهد انطلاقاً من التصورين؛ النحوي والبلاغي.

أشير هنا، إلى أن المجال التطبيقي كان مقتصراً على بعض الأنماط، إذ إن ذلك يفي بالغرض، فما ينطبق على نمط من التحليل، ينطبق على بقية الأنماط التي لم

---

[1] الأصول دراسة أبيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: تمام حسان، دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد، ١٩٨٨، ٣٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تذكر، والغاية هي إعطاء نموذج من شعر الهذليين ليوضح مدى الصلة بين التركيب والمعنى، لا غير.

وتبعاً لذلك وضحت في هذه الدراسة آراء النحويين والبلاغيين القدماء في أسلوب التقديم والتأخير، وناقشت آراء كل منهما، وربطت بين ما تقارب من آرائهما، فبينت مدى الاقتراب في هذا الدرس، سواء في الأبنية الأسلوبية للتقديم والتأخير، أم في الوظيفة الناتجة عن ذلك. وبهذا خرجت هذه الدراسة بعنوان " أسلوب التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة – شعر الهذليين نموذجاً "، وقد جاءت في مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

أما الفصل الأول، فعنوانه "الأبنية الأسلوبية للتقديم والتأخير عند النحويين والبلاغيين"، تناولت فيه مفهوم التقديم والتأخير عند النحويين من خلال فهمهم للأبنية التركيبية التي تشكل الأصل في الجملة العربية، وما يطرأ على هذه الأبنية من تغيير في مواقع عناصرها اللغوية عن الأصل، وتناولت كذلك مفهوم التقديم والتأخير عند البلاغيين، ثم عقدت موازنة بين المفهومين للبنية الأسلوبية، وصولاً بذلك إلى الأنماط التي تشكلت في باب التقديم والتأخير.

وأما الفصل الثاني، فقد خصصته لدراسة " وظيفة أسلوب التقديم والتأخير بين النحويين والبلاغيين"، حيث عرضت فيه الوظائف الدلالية لأسلوب التقديم والتأخير التي استنبطها النحاة والبلاغيون، من خلال الشواهد التي اعتمدوا عليها في دراساتهم. بدأت فيه بالوظائف في الجملة الفعلية، ثم الوظائف في الجملة الاسمية، وقرنت كل وظيفة دلالية بوجود سياق؛ إذ إن السياق النصي هو الذي يحدد نوع الدلالة ويخصصها، إذ إن الدلالات تتكرر في الأنماط مجتمعةً، والنص هو الذي يحدد نوع الدلالة.

وأما الفصل الثالث، فقد تناولت فيه بعض الشواهد الشعرية في ديوان الهذليين تحليلاً وتركيباً ودلالةً، حيث عالجت في الجملة الفعلية تقديم الفاعل على الفعل ليصبح مبتدأ، والدلالات التي ظهرت من خلال ذلك، وتقديم المفعول به على الفاعل تارةً، وعلى الفعل والفاعل تارةً أخرى، وعالجت في الجملة الاسمية تقديم الخبر على

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبتدأ، وتقديم شبه الجملة على العناصر الأساسية في الجملة الاسمية، فظهرت وظائف مختلفة نتجت عن التركيب اللغوي، وعن ارتباط هذا التركيب بالسياق.

وأما الخاتمة فقد رصدت فيها النتائج الهامة للدراسة، وخلاصـــة الفصـــول الثلاثة المتقدمة. وأخيراً، فإني أقدم هذه الدراسة آملاً أن تكون قد وفت الموضوع حقه من البحث.

وأخيراً، فلست أدعي الكمال، وكل ما أرجو أن أكون قد وفيت هذا البحـــث حقه، وقمت بشيء من الواجب تجاه لغتنا.

والله ولي التوفيق،،،

الباحثة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول

الأبنية الأسلوبية للتقديم والتأخير

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عناصر الجملة الأساسية:

لابدّ قبل دراسة أنماط التقديم والتأخير التي تجري بين عناصر الجملة، من الإشارة إلى عناصر الجملة الأساسية، ومن تعرف الأصل الترتيبي لهذه العناصر، ولا بدّ كذلك من الإشارة إلى العناصر الثانوية في الجملة، وإلى أصل ترتيبها؛ لمعرفة التبديل الذي يحدث بين عنصر وآخر، والذي ينتج عنه تقديم عنصر ما، وتأخير عنصر آخر.

تأتي الجملة تامة تركيبياً إذا استوفت عنصرين أساسيين هما: المسند، والمسند إليه؛ ولا تظهر الفائدة إلاّ باجتماع هذين العنصرين. وقد نصّ النحويون والبلاغيون على هذين العنصرين الأساسيين للجملة موضحين مدى ارتباط العنصر بالآخر؛ فذهبوا إلى أن الجملة الفعلية تتكون من عنصرين أساسيين هما: الفعل والفاعل، وإلى أنهما متلازمان لا يقوم أحدهما دون الآخر، كما ذهبوا إلى أن الجملة الاسمية تتكون من عنصرين أساسيين هما: المبتدأ والخبر، وإلى أن المبتدأ لا يستغني عن الخبر؛ ونصّوا على أن الفائدة لا تأتي إلاّ بهذين العنصرين. فالتركيب الإسنادي عندهم" لا يراد به مطلق التركيب، بل تركيب الكلمة مع الكلمة إذا كان لإحداهما تعلق بالأخرى على السبيل الذي به يحسن موقع الخبر، وتمام الفائدة" [1].

فالمسند والمسند إليه عند سيبويه (ت١٨٠هـ) هما الركنان اللذان لا يستغني أحدهما عن الآخر فأينما حلّ المسند يلازمه المسند إليه كـ" الاسم المبتدأ، والمبني عليه، وهو قولك: (عبد الله أخوك)، و(هذا أخوك)، ومثل ذلك قولك: (يذهب زيد)، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدٌّ من الآخر في الابتداء، ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك:

---

[1] شرح المفصل: موفق الدين بن يعيش، عالم الكتب/ بيروت، ١: ٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(كان عبد الله منطلقاً)، و(ليت زيداً منطلق)، لأن هذا يحتاج إلى مـــا بعـــده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده"[1].

والجملة الاسمية عند ابن يعيش (ت ٦٤٣هـــ) تشتمل على المبتدأ والخبر، اللذين بهما تتم الفائدة،" فالمبتدأ معتمد الفائدة، والخبر محل الفائدة، ولا بد منهما"[2].

وقد ذهب **ابن هشام** (ت ٧٦١هـــ) إلى ما ذهب إليه سيبويه، وابن يعيش، فكانت الجملة عنده عبارة عن" الفعل وفاعله كـــ(قام زيد)، والمبتدأ وخبره كـــ (زيد قائم)، وما كان بمنزلة أحدهما نحو (ضرب اللص)، و(أقائم الزيدان)، و(كان زيد قائما)، و(ظننتـــه قائما)"[3]. فالفعل إذن عند النحاة لا بد له من الفاعل، والمبتدأ لا بد لـــه مـــن الخـــبر؛ ليكتمل التركيب الإسنادي، وليظهر معنى يحسن السكوت عليه.

وبالانتقال إلى الجملة عند البلاغيين، نجدهم قد وافقوا النحويين فـــي اشـــتراط الإسناد في الجملة وفي إيجاد معنى يحسن السكوت عليه، **فعبد القاهر الجرجـــاني** (ت ٤٧١هـــ) يرى أن الكلام لا يكون من جزء واحد، وأنه لا بد فيه من مسند ومسند إليـــه، فالاسم يتعلق بالاسم، والاسم يتعلق بالفعل، ويوضح هذا في الأبيات الآتية:

تفسير ذلك: أن الأصل مبتدأ تلقى له خبرا من بعد تثنيه
وفاعل مسند فعل تقدمه إليه يكسبه وصفا ويعطيه
هذان أصلان لا تأتيك فائدة من منطق لم يكونا من مبانيه[4].

فالجملة الاسمية عند **عبد القاهر الجرجاني** (ت ٤٧١هـــــ) تتكـــون مـــن عنصرين أساسيين هما: المبتدأ والخبر؛ (أن الأصل مبتدأ تلقي له خـــــبراً). والجملـــة الفعلية تتكون من عنصرين أساسيين هما: الفعل والفاعل؛ (وفاعل مسند فعل تقدمه). ثم

---

[1] الكتاب: أبو بشر عمرو بن قنبر " سيبويه"، تحقيق: عبدالسلام هارون، عالم الكتب/ بيروت، ١: ٢٣.

[2] شرح المفصل، ١: ٩٤.

[3] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبـــة العصريـــة/ بيروت، ١٩٨٧، ٢: ٣٧٤.

[4] دلائل الإعجاز: عبدالقاهر الجرجاني، المدخل ش، و المدخل ث.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

صرح بتلازم هذين العنصرين في الجملة الاسمية، وفي الجملة الفعلية؛ لتتم الفائدة (لا تأتيك فائدة من منطق لم يكونا من مبانيه). والإسناد عند **السكاكي** (ت ٦٢٦هـ) هو" تركيب الكلمتين أو ما جرى مجراهما على وجه يفيد السامع كنحو: (عرف زيد)، ويسمى هذا جملة فعلية، أو(زيد عارف)، أو(زيد أبوه عارف) ويسمى هذا جملة اسمية"[1]. وهذا ما يراه ابن الناظم (ت ٦٨٦هـ)" والجملة لا بد فيها من مسند ومسند إليه وإسناد"[2].

فالإسناد إذن نوعان: نوع يتمثل في الجملة الاسمية، وتتكون من: مسند إليه ومسند، ونوع يتمثل في الجملة الفعلية، وتتكون من مسند ومسند اليه، كما أن الفائدة لا تأتي إلا بالعنصرين الأساسيين للجملة.

تأتي في الجملة أحيانا عناصر ثانوية، تضيف معنى إضافيا للمعنى الأساسي المتكون من العنصرين الأساسيين، وهذه العناصر الثانوية هي ما أطلق عليها النحاة والبلاغيون اسم المتعلقات، أو الفضلات، أو المكملات.

تتعدد المواقع في الجملة العربية، ويحتل كل عنصر في جملة ما موقعا خاصا به، فتتشكل الصورة الترتيبية النموذجية. وقد تنحرف هذه الصورة عن أصلها الترتيبي بأن تتحرك بعض العناصر من موقعها بحرية تامة لتحتل موقعا آخر، وهناك بعض العناصر التي تلتزم موقعها في التركيب فلا تفارقه، ولكي يعرف الإنحراف، والانتقال الذي يحصل بين العناصر، لا بد أولا من معرفة أصالة ترتيب العناصر في الجملة، ثم تعرف أنماط أساليب التقديم والتأخير في:

١. الجملة الفعلية.
٢. الجملة الاسمية.
٣. الجملة الشرطية.

---

[1] مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر السكاكي، ضبطه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، ص ٨٦.

[2] المصباح في المعاني والبيان والبديع: بدر الدين بن مالك، تحقيق: حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب، ص ٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولا ـ الجملة الفعلية:

أ. أصالة ترتيب عناصر الجملة الفعلية:

إن المواقع الأصلية للعناصر، والترتيب الذي تجري عليه هو الذي يحدد ما إذا كان هناك تقديم وتأخير بين العناصر في الجملة" فلا يمكن الحكم على عنصر ما في الجملة بأنه مقدم من تأخير، أو مؤخر من تقديم إلا إذا كانت بنية الجملة الأساسية تحكم بوضع هذا العنصر، أو ذاك في موضع معين، أورتبة محددة"[1].

تتكون الجملة الفعلية من عنصرين أساسيين هما: الفعل والفاعل، ومن عناصر ثانوية تأتي لتضيف معنى جديدا للمعنى الأساسي في الجملة. والأصل في ترتيب العنصرين الأساسيين أن يذكر الفعل أولا، والفاعل ثانيا. ويدل على ذلك شيوع استعمال الجمل التي تبدأ بفعل نحو:(قام زيد)، (وذهب عمرو)، (ونام خالد). وللشيوع أهمية في معرفة الأصل، إذ إن اللغويين جعلوا من الشيوع مسلكا لمعرفة الأصل في بعض الأحيان، فمثلا عندما كانوا لا يعرفون أي اللفظين اسبق على صاحبه ـ عند معرفة أصل الكلمة ـ ليكون السابق هو المشتق منه (الأصل)، والتالي هو المشتق (الفرع) اتفقوا على أن الكلمة الأكثر شيوعا هي الأصل والثانية الأقل شيوعا هي الفرع[2]. ولما كان الأكثر شيوعا في ترتيب عناصر الجملة الفعلية البدء بالفعل كان أصل الترتيب هو: فعل ثم فاعل.

ومما يدل على أن الأصل في الفعل أن يذكر أولا كذلك أن الأصل في العامل أن يتقدم على المعمول. ولما كان أصل العمل للفعل، فالأصل فيه أن يتقدم على الفاعل، "فليست في الدنيا مرفوع يجوز تقديمه على رافعه"[3].

ورأى **عبد القاهر الجرجاني** في الحقل البلاغي أن الأصل في ترتيب عناصر الجملة الأساسية أن يذكر الفعل أولا ثم الفاعل، وظهر ذلك واضحا في قوله:

---

[1] بناء الجملة العربية: محمد حماسة عبداللطيف، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص ١٩٤.

[2] انظر: الوجيز في فقه اللغة: محمد الأنطاكي، دار الشروق/ دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩، ص ٤٢٢.

[3] الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى/ بيروت، ٢: ٣٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفاعل مسند فعل تقدمه إليه يكسبه وصفا ويعطيه[1].

ويعلل الجارم سبب تقديم الفعل على الفاعل" بأن المرء يهتم بالحدث أولا، ثم يتجه إلى محدثه، لأن الحدث هو الأمر الجديد الذي يعنيه شأنه، ولذلك يمكن أن ندعي أن الأسلوب العربي هو الأسلوب الجاري على الأصل، كلما خطر بذهن المتكلم وقوع حدث من فاعله، فهو يندفع أولا إلى ذكر الحدث ثم ينسبه إلى من صدر منه"[2]. ويضيف معللا سبب اتجاه العرب إلى البدء بالفعل" بأنهم كانوا يعيشون عيشة بداوة تحيط بها المخاوف، ويكتنفها التوجس، وتكثر فيها المفاجآت فكان يهمهم أن يسرع المتكلم بذكر الحدث قبل من وقع منه الحدث، فتقول مثلا: (سطا الذئب)، و(أغارت قبيلة بني فلان)، و(نضبت البئر)، إلى غير ذلك"[3].

الأصل التوليدي إذن في الجملة الفعلية ذات العناصر الأساسية هو ذكر الفعل أولا، ثم الفاعل ثانيا. وما يرى من تقديم الاسم، وتأخير الفعل ما هو إلا خروج عن الأصل لغاية ما، وبهذا الخروج لا تبقى الجملة فعلية، وإنما تتحول إلى جملة اسمية.

وإذا ما انتقلنا إلى العناصر الثانوية في الجملة، فإننا نجدها تأتي بعد العنصرين الأساسيين فيها[4]. هذه العناصر هي: المفعول به، والمفعول معه، والمفعول المطلق، والمفعول لأجله، والمفعول فيه، والحال، والاستثناء، والتمييز، والجار والمجرور، والظرف.

وتتمتع هذه العناصر بحرية الانتقال من موقع إلى آخر، فتتقدم على العنصرين الأساسيين، أو تتوسط بينهما، أو تتقدم على الاسم الذي جاءت مختصة به،

---

[1] انظر: دلائل الإعجاز: المدخل ش.

[2] الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية: علي الجارم، مجلة" مجمع اللغة العربية، مطبعة وزارة المعارف العمومية، المجلد: السابع، الدورة (١٣-١٨)، ١٩٥٣، ص ٣٤٩.

[3] المصدر السابق نفسه، ص ٣٤٩.

[4] أنظر: شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية: ابن هشام الأنصاري المصري، تحقيق: هادي نهر، الجامعة المستنصرية/بغداد، ١٩٧٧، ١: ٣٤٤. شرح إبن عقيل على ألفية إبن مالك، بهاء الدين عبدالله بن عقيل الهمداني، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية/ صيدا، بيروت، ١٩٩٥. ١: ٢١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولما كانت هذه العناصر تضيف معنى جديداً لمعنى الجملة ذات العناصر الأساسية، فقد كانت مواقعها الأصلية متأخرة عن العناصر الأساسية.

ب. أبنية التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

تتمتع عناصر الجملة العربية الواحدة بحرية كبيرة في تشكيل تراكيب مختلفة، وذلك عن طريق التحويل فيما بينها؛ تقديماً وتأخيراً، وصلاً وفصلا، حذفاً وذكراً. والتقديم والتأخير أحد الوسائط التحويلية في الجملة، ويقصد به الرتبة بين العناصر في جملة ما؛ حيث إن لكل عنصر ترتيباً خاصاً به، ولا يخرج عنصر عن ترتيبه إلا لغرض يريده المتكلم.

يلجأ المتكلم إلى اختيار الكلمات التي تناسب ظروف النص، ثم ينظمها في ذهنه، تقديماً وتأخيراً وفق الظروف الملائمة لذلك، ووفق قواعد نحوية صحيحة، فيتناول الرتب الحرة، ويبتعد عن الرتب المقيدة في أماكنها، إذ إن ترتيب الكلمات في الجملة العربية إما أن يكون ترتيباً حراً تتقدم فيه الكلمات وتتأخر، كما في (زيداً ضرب عمرو)، وإما أن يكون ترتيباً إلزامياً لا يحق للكلمات فيه أن تنتقل من مواقعها إلى مواقع أخرى كما في (أين جلس زيدٌ).

ولا يلجأ إلى تشكيل صورة ذات ترتيب جديد منحرف عن أصله إلا لغاية مبتغاة في المعنى. يؤكد ذلك قول فضل عباس:" فنحن حينما نقدم بعض أجزاء الجملة تارة، ونؤخرها تارة، فإنا لا نفعل ذلك رغبة في التغيير، أو تفنّناً في القول فحسب، إنما ذلك ناشئ عن اختلاف الذي يريده المتكلم، فالكلام البليغ لا يجوز أن يكون التقديم فيه لغرض لفظي فقط، بل يكون مع هذا الغرض اللفظي هدف يتعلق بالمعنى"[1].

ويكون التقديم أحيانا على نية التأخير، فلا تتغير وظيفته الإعرابية بل يحتفظ بها وإن تقدم، ويكون التقديم أحيانا أخرى لا على نية التأخير، بل على أن تتغير وظيفته

---

[1] البلاغة فنونها وأفنانها:فضل حسن عباس، دار الفرقان / إربد، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢، ص ٢١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإعرابية إلى وظيفة إعرابية أخرى، وتبعا له يلعب التقديم والتأخير دوره في المعنى لا في التركيب[1].

أعرض فيما يلي إلى أنماط أبنية التقديم والتأخير في الجملة الفعلية لدى النحويين والبلاغيين، هذه الأنماط هي:

أولا- تقديم الفاعل:

الأصل في الفاعل أن يلي الفعل، فيذكر المسند أولا، ثم المسند إليه ثانيا[2]، وتظهر الجملة وفق الصورة الآتية:

فعل + فاعل

قام + زيد

ويخرج الفاعل في بعض الأحيان عن ترتيبه الأصلي؛ فيتصدر الجملة. وتظهر صورة جديدة وفق الشكل الآتي:

فاعل + فعل

زيد + قام

وقد اتُفِقَ على فاعلية الاسم المتقدم معنى، واختُلِفَ فيه إعرابا. فذهب فريق إلى أن الفاعل يتقدم لا على نية التأخير، وذهب فريق آخر إلى أن الفاعل يتقدم على نية التأخير.

نادى البصريون بأن الفاعل لا يجوز أن يتقدم على الفعل على نية التأخير، فإذا ما وجُد عندهم تقديم الفاعل في المعنى على الفعل فهو مبتدأ، وخبره الجملة الفعلية التي تليه،" فإذا قلت: (عبد الله قام)، (فعبد الله) رفع بالابتداء، و(قام) في موضع الخبر،

---

[1] انظر: دلائل الإعجاز، ص ٨٣.

[2] انظر الإيضاح في شرح المفصل:أبو عمرو عثمان بن عمرو ابن الحاجب، مطبعة العاني / بغداد، ١: ١٥٩ والفوائد الضيائية: نور الدين عبد الرحمن الجامي، تحقيق:أسامة الرفاعي، مطبعة وزارة الأوقاف / الجمهورية العراقية، ١٩٨٣، ١:٢٥٥. وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع:جلال الدين السيوطي، تحقيق:عبد السلام هارون، عبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة / بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧، ٢: ٢٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وضميره الذي في (قام) فاعل" [1]. فالفاعل عندهم إذن يخرج عن وظيفته الإعرابية ليصبح مبتدأ، وبخروجه عن وظيفته الإعرابية لم يعد في الجملة تقديم وتأخير على المستوى التركيبي؛ ذلك أن الجملة الاسمية في بعض الأحيان تبتدئ باسم مبتدأ، يليه جملة فعلية في محل رفع خبر. واستند البصريون في ذلك إلى حجج، وبراهين منها: وجوب تطابق حال الفعل مع الاسم المتقدم عند تثنيته، وعند جمعه[2]، نحو (الزيدان قاما)، و(الزيدون قاموا)؛ إذ إن الألف في (قاما)، والواو في (قاموا)، ضميران للفاعلية يعودان على الاسمين المتقدمين في الجملة، وهما (الزيدان)، و(الزيدون) على التوالي، ووجود هذين الضميرين، يدل على أن الاسم المتقدم مبتدأ لا فاعل؛ لأن الفعل لا يرفع فاعلين.

ويرى البصريون كذلك أن الفاعل لا يجوز أن يأتي قبل فعله؛ لأنه كالجزء منه، فإن لم يكن الفاعل ظاهرا فهو لا محالة مضمر. واحتجوا لذلك بأن لام الفعل تأتي ساكنة عندما يتصل بالفعل ضمير رفع متحرك، وذلك لرفع توالي أربع متحركات في الكلمة الواحدة[3]؛ إذ إن العرب يكرهون الحركات المتتالية في الكلمة الرباعية، فلما سكنت لام الفعل في نحو (ضربت) دل على أن الفاعل جزء من الكلمة لا يجوز تقديمه على الفعل.

ومن حجج البصريين كذلك أن المعمول لا يتقدم على العامل الذي يعمل الرفع فيه. يقول ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) " فليس في الدنيا مرفوع يجوز تقديمه على رافعه"[4]، أما الخبر فيرى ابن جني أنه لم يرتفع بالمبتدأ فقط وإنما بالابتداء، لذلك فهو لم يتقدم عليهما معا، وإنما تقدم على المبتدأ وهذا جائز[5].

---

(١) المقتضب:محمد بن يزيد المبرد، تحقيق:محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب / بيروت، ٤: ١٢٨.

(٢) انظر:أسرار العربية:كمال الدين أبو البركات بن الأنباري، مطبعة الترقي / دمشق، ١٩٥٧، ١: ٨١. وشرح التصريح على التوضيح:خالد بن عبد الله الأزهري:صحح بمعرفة لجنة من العلماء، دار إحياء الكتب العلمية، ١: ٢٧٢.

(٣) انظر:أسرار العربية:١: ٨٠، والفوائد الضيائية، ١:٢٥٥. والكواكب الدرية:محمد بن أحمد بن الباري الأهدل، اشرف عليه: محمد الاسكندراني، دار الكتب العلمية / بيروت، ١: ٧٧.

(٤) الخصائص، ٢: ٣٨٥.

(٥) انظر: المصدر السابق، ٢: ٣٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ينتقل الفاعل إذن عند البصريين من موضعه الأصلي فيتصدر الجملة مع انتقاله من حالته الإعرابية إلى حالة إعرابية أخرى، وهي الابتداء، فإذا ما وجد البصري ما ظاهره تقدم الفاعل على الفعل" يكون المقدم إما مبتدأ نحو (زيد قام)، ففي (قام) ضمير مرفوع مستتر على الفاعلية عائد على (زيد) و (زيد) مبتدأ، والجملة بعده خبره، وإما فاعلا بفعل محذوف وجوبا نحو:" وإن أحدٌ من المشركين استجارك"، فأحد فاعل بفعل محذوف يفسره الفعل المذكور والتقدير " وإن استجارك أحدٌ استجارك"[1]. وبهذا التقدير تكون الجملة مركبة من جملة كبرى، وهي المبتدأ والخبر، ومن جملة صغرى، وهي خبر المبتدأ الذي يتكون من الفعل والفاعل المستتر.

أما **الكوفيون** فنادوا بجواز تقديم الفاعل على الفعل محتفظا بحالته الإعرابية، خلافاً لرأي البصريين فيكون الاسم المتقدم المتبوع بالفعل عندهم فاعلا لا مبتدأ [2]، كأن يقال" زيدٌ قام" على اعتبار (زيد) فاعلاً، والفعل (قام) هو العامل فيه، يقول الأزهري " وعن الكوفي جواز تقديم الفاعل عن المسند تمسكاً بنحو قول الزبّاء ملكة الجزيرة وتعد من ملوك الطوائف:

ما للجمال مشيها وئيداً أجندلاً يحملن أم حديداً

ووجه التمسك أن (مشيها) روى مرفوعاً ولا جائز أن يكون مبتدأ، إذ لا خبر له في اللفظ إلا (وئيدا)، وهو منصوب على الحال، فتعين أن يكون فاعلاً بـ (وئيداً) مقدماً عليه"[3].

جوّز **الكوفيون** إذن تقديم الفاعل على الفعل مع بقائه على حالته الإعرابية، وتبعاً لذلك تكون الجملة عندهم بسيطة لا مركبة كما كانت عند البصريين، فتكون جملة واحدة تتكون من فاعل مقدم، وفعل متأخر.

---

[1] الكواكب الدريه، ١: ٧٧.

[2] انظر:حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، ٢: ٤٦. وشرح التصريح على التوضيح، ١: ٢٧.

[3] شرح التصريح على التوضيح، ١: ٢٧١. وانظر:شرح اللمحة البدرية، ١:٣٤٢. وحاشية الصبان، ٢:٤٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وبالنظر إلى رأي كل من الفريقين السابقين أستطيع أن أتبنى أحد الرأيين أتخذه مسلكاً لي في هذا البحث. ولعل الرأي الذي ذهب إليه البصريون أقرب إلى الصواب من الرأي الذي ذهب إليه **الكوفيون**؛ إذ إن الفاعل لا يجوز أن يتقدم على الفعل مع احتفاظه بحالته الإعرابية؛ لأنه يترك في مكانه ضميراً يشغله، ومن حق هذا الضمير أن يقوم مقام الفاعل معنى وإعراباً، فيكون فاعلاً للفعل، ويكون الاسم المتقدم مبتدأ نحو: (الزيدان قاما)؛ حيث إن الضمير العائد على (الزيدان) هو الفاعل، والاسم المتقدم هو المبتدأ، فالعنصر الذي يتقدم إذن تاركاً وراءه ضميراً يشغل مكانه يخرج عن حالته الإعرابية.

وقد يُقال إن (زيداً) في جملة (زيد قام) فاعل؛ لأنه لم يترك ضميراً يشغل مكانه، ويقوم مقامه إلا أن هذا مجانب للصواب؛ لأن الألف في الفعل يقوم مقام (الزيدان) في نحو (الزيدان قاما)، والواو في الفعل يقوم مقام (الزيدون) في نحو (الزيدون قاموا) مما يكشف عن وجود ضمير في (قام) في نحو (زيد قام) يقوم مقام (زيد) المتقدمة، ولكنه غير ظاهر،" فإن خبر عن ذكر كانت علامته في النية، ودلّ عليها ما تقدم من ذكره، فقال: (زيد قام)، و (زيد ذهب) فإن ثنّي ألحق الألف فقال: (أخواك قاما)، وإن جُمع ألحق واوا مكان الألف. وقال: (إخوتك قاموا) فإذا كان الغائب مؤنثا فكذلك تقول في الواحد: (هند قامت)، التاء علامة التأنيث، والضمير في النية، كما كان في المذكرة، وإن ثنى ألحق الألف"[1] وكذلك يقول **عبدالقاهر الجرجاني** معلقا على الضمائر التي تظهر في الأفعال كالألف، والواو، وعلى الضمير المخفي الذي يعود على المفرد: " فإذا تقرر هذا عن طريق المشاهدة وجب اعتقاده فيما لا يتضح لفظاً، وهو قولك: (زيد ضرب) فتقطع بأن (زيداً) مرفوع بالابتداء، وأنّ في (ضرب) ضميراً له"[2].

وليس دقيقاً ما يقال عن الضمائر المتصلة بالأفعال (الواو)، و (الألف)، و(الياء) من أنها علامات للمطابقة كما في التاء الساكنة في (فعلتْ)، وما ذهب إليه

---

[1] المقتضب، ١:٢٦٢.

[2] كتاب المقتصد في شرح الإيضاح:عبد القاهر الجرجاني، تحقيق:كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام / دار الرشيد للنشر / العراق، ١٩٨٢، ١:٣٢٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بعض النحاة القدماء من أن الفاعل في (ضربونـــي قومـك)، و(ضربـاني أخـواك)، و(تكتبين أنت) هو (قومك)، و(أخواك)، و(أنت) [1]. لكن حقيقة هذه الجمل تكمن فـــي أنها جمل اسميه لا فعلية؛ حيث تقدم فيها الخبر الذي جاء على صورة جملة فعلية علـى المبتدأ، فيجوز إعراب عناصر جملة (ضربوني قومك) على النحو الآتي: (ضرب) فعل ماض، و(الواو) ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعليـة خـبر مقـدم، والمبتدأ هو كلمة (قومك) المتأخرة[2]، يقول ابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ) " ولهذا إذا بـرز الضمير نحو:(الزيدان قاما)، و(الزيدون قاموا) يجوز التقدم على الأصح" [3].

ومما يدل على أن الجمل المبدوءة بفعل يحمل ضمير الاسم المتأخر عنـه اسمية، أن الضمير لا يعود في عرف اللغة على متأخر لفظاً ورتبة، فالواو في جملـة (ضربوني قومك) جاءت قبل كلمة (قومك) العائدة إليها، ولما كان من الخطـأ عـودة الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، كان لابد من اعتبار (قومك) متقدمة في الرتبة، حتـى يعود الضمير على متأخر لفظا متقدم رتبة، فيكون أصل الترتيب هو (قومك ضربوني) كما هي الحال في جملة (قام أبوه زيد)[4]، حيث إن أصل ترتيب الجملة هو (زيد قـام أبوه) لأن الضمير في كلمة (أبوه) يعود إلى كلمة (زيد)، فكان لابد من اعتبـار كلمـة (زيد) متقدمة رتبة.

أما ما استشهد به الكوفيون من المسموع من أشعار العرب كقول الزبّاء (ما للجمال مشيها وئيدا)؛ فأوله البصريون" على أن (مشيها) مبتدأ، محذوف الخبر، والتقدير (مشيها يكون أو يوجد وئيدا)" [5].

---

[1] انظر:الكتاب، ٢:٤٠. وهمع الهوامع، ١:١٩٥.

[2] انظر:شرح ابن عقيل، ١:٤٦٨.

[3] المساعد على تسهيل الفوائد:بهاء الدين بن عقيل، تحقيق:محمد بركات، مركز البحث العلمي إحياء التراث الإسلامي / السعودية، ١٩٨٠، ١:٢٢١.

[4] انظر:شرح ابن عقيل، ١:٤٢١. وشرح التصريح، ١:١٧٠.

[5] حاشية الصبان، ٢:٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

و(تكتبين أنت) هو (قومك)، و(أخواك)، و(أنت) [1]. لكن حقيقة هذه الجمل تكمن في أنها جمل اسميه لا فعلية؛ حيث تقدم فيها الخبر الذي جاء على صورة جملة فعلية على المبتدأ، فيجوز إعراب عناصر جملة (ضربوني قومك) على النحو الآتي: (ضرب) فعل ماض، و(الواو) ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية خبر مقدم، والمبتدأ هو كلمة (قومك) المتأخرة[2]، يقول ابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ) " ولهذا إذا برز الضمير نحو:(الزيدان قاما)، و(الزيدون قاموا) يجوز التقدم على الأصح" [3].

ومما يدل على أن الجمل المبدوءة بفعل يحمل ضمير الاسم المتأخر عنه اسمية، أن الضمير لا يعود في عرف اللغة على متأخر لفظا ورتبة، فالواو في جملة (ضربوني قومك) جاءت قبل كلمة (قومك) العائدة إليها، ولما كان من الخطأ عودة الضمير على متأخر لفظا ورتبة، كان لابد من اعتبار (قومك) متقدمة في الرتبة، حتى يعود الضمير على متأخر لفظا متقدم رتبة، فيكون أصل الترتيب هو (قومك ضربوني) كما هي الحال في جملة (قام أبوه زيد)[4]، حيث إن أصل ترتيب الجملة هو (زيد قام أبوه) لأن الضمير في كلمة (أبوه) يعود إلى كلمة (زيد)، فكان لابد من اعتبار كلمة (زيد) متقدمة رتبة.

أما ما استشهد به الكوفيون من المسموع من أشعار العرب كقول الزباء (ما للجمال مشيها وئيدا)؛ فأوله البصريون" على أن (مشيها) مبتدأ، محذوف الخبر، والتقدير (مشيها يكون أو يوجد وئيدا)" [5].

يستخلص مما سبق أن الفاعل يتقدم على الفعل لا على نية التأخير، ولكن على أن ينتقل من وظيفته الإعرابية إلى وظيفة إعرابية أخرى، وهو رأي البصريين، أما رأي الكوفيين فقائم على أسس غير ثابتة تبعده عن الصواب، وعن القبول.

---

[1] انظر:الكتاب، ٢:٤٠. وهمع الهوامع، ١:١٩٥.

[2] انظر:شرح ابن عقيل، ١:٤٦٨.

[3] المساعد على تسهيل الفوائد:بهاء الدين بن عقيل، تحقيق:محمد بركات، مركز البحث العلمي إحياء التراث الإسلامي / السعودية، ١٩٨٠، ١:٢٢١.

[4] انظر:شرح ابن عقيل، ١:٤٢١. وشرح التصريح، ١:١٧٠.

[5] حاشية الصبان، ٢:٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبالانتقال إلى الجانب البلاغي نجد البلاغيين قد تناولوا الفاعل بصور متنوعة، وعالجوه متقدما ومتأخرا في جمل مختلفة الأساليب، فكان يأتي اسما نكرة، ويأتي اسما معرفة، ويأتي ضميرا؛ فالأول نحو: (جاء رجل)، والثاني نحو: (جاء زيد)، والثالث نحو: (ما قلت أنا هذا). وعالج البلاغيون كذلك الفاعل اللفظي، والفاعل المعنوي[1]، إذ إن الفاعل اللفظي يأتي بصورة اسم مفرد، معرفة كان أو نكرة، نحو: (ذهب الطالب إلى المدرسة)، ونحو: (ذهب طالب إلى المدرسة). والفاعل المعنوي يأتي بصورة ضمير منفصل يتبع ضميرا آخر متصلا بالفعل نحو: (كتبت أنا هذا الشعر)، (فأنا) توكيد للفاعل المتصل بالفعل (ت). والفاعل المعنوي كذلك كما يرى **السكاكي** يأتي بدلا من الضمير المستتر في الفعل نحو: (جاءني رجل)، فكلمة (رجل) المتأخرة بدل من الضمير المستتر في الفعل (جاء) والذي يعود على كلمة (رجل) المتأخرة، وجازفي الضمير أن يعود على متأخر لفظا ورتبة في البدل كما في (زره خالدا). والذي سوغ للسكاكي ذلك التخلص من الابتداء بالنكرة؛ حيث إن كلمة (رجل) في (جاءني رجل) عندما تتقدم على الفعل (جاء)، يبتدأ بنكرة، ولا يصح الابتداء بنكرة إلا إذا أفادت التخصيص. ولتأتي هذه الفائدة لابد من اعتبار كلمة (رجل) عند التأخير بدلا من الضمير المستتر في الفعل[2].

وقد تناول البلاغيون الفاعل في أساليب ثلاثة هي: الاثبات، والنفي، والاستفهام.

أولا- الإثبات:

عالج البلاغيون الجملة الإسنادية التي يتقدم فيها المسند إليه على المسند المضارع تارة، وعلى المسند الماضي تارة أخرى، نحو: (زيد يفعل هذا)، و(زيد فعل هذا)[3]. كما درسوا الاسمين (مثل، وغير) اللذين لابد من تقديمهما في الإستعمال إذ إن

---

(1) انظر: دلائل الإعجاز، ٨٧.ومفتاح العلوم، ٢٣١. وكتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان: شرف الدين حسين بن محمد الطيبي، تحقيق:هادي الهلالي،عالم الكتب / بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ص ١١٣.

(2) انظر: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: لإبن يعقوب المغربي (ضمن شروح التلخيص) طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي / مصر، ١٩٣٧، ٢:٤٠٩.

(3) انظر دلائل الإعجاز:١٠٦ – ١٠٧، نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ٧: ٦٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا)[1]. كما درسوا الاسمين (مثل، وغير) اللذين لابد من تقديمهما في الإستعمال إذ إن الناظر إلى الأمثلة التي يرد فيها هذان الاسمان يجد أن الاسمين متقدمان أبداً على الفعل. نحو: (مثلك رعى الحق والحرمة)، و(غيري يفعل ذاك)[2].

ثانياً – النفي:

تحتوي الجملة الفعلية المنفية على: أداة نفي، ومسند، ومسند إليه. والأصل التوليدي في هذه الأركان تقديم أداة النفي، ثم يتبعها المسند، فالمسند إليه. وذلك نحو قولنا: (ما كتب زيد هذا)، وتصوّر هذه الجملة بالصورة الآتية:

أداة نفي + المسند + المسند إليه + فضلة.

وتنحرف هذه الصورة عن أصلها، فيتقدم المسند إليه على المسند مع بقاء أداة النفي في موقعها فتظهر صورة جديدة على النحو الآتي: (ما زيدٌ كتب هذا).

أداة نفي + المسند إليه + المسند + فضلة.

وقد عالج البلاغيون هذا النمط معالجة دقيقة، وواضحة؛ " فمما هو مثال بيّن في أن تقديم الاسم يقتضي وجود الفعل قوله:

وما أنا اسقمت جسمي به ولا أنا أضرمت في القلب نارا

المعنى كما لا يخفى أن السقم ثابت موجود وليس القصد بالنفي إليه، ولكن إلى أن يكون هو الجالب له ويكون قد جرّه إلى نفسه" [3]. وكذلك درس البلاغيون الجمل التي تجتمع فيها أداة تدل على العموم نحو: " كل، وجميع، وعامة، وكافة"، وأداة

---

(1) انظر دلائل الإعجاز:١٠٦ – ١٠٧، نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ٧: ٦٨.

(2) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣، ٢: ٧٠.

(3) دلائل الإعجاز:٩٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تدل على النفي نحو: " ما، ولا، ولم ..."، وذلك نحو: (لم يقم كل إنسان)، وقد تترك الأداة في هذا النمط موقعها لتتصدر الجملة، نحو: (كل إنسان لم يقم) [1].

ثالثاً – الاستفهام:

تبدأ الجملة الاستفهامية بأداة الاستفهام، ثم المسند، ثم المسند إليه. ويكون الاستفهام في الشائع موجها إلى الفعل، فتظهر الصورة الترتيبية النموذجية وفق الشكل الآتي:

أداة استفهام + المسند + المسند إليه + فضلة

أ + قلت + أنت + هذا

وقد تعدل الصورة عن أصلها؛ فتدخل أداة الاستفهام على الاسم مباشرة، وفق النموذج الآتي:

أداة استفهام + المسند إليه + المسند + فضله

أ + أنت + قلت + هذا

والأداة التي استخدمها البلاغيون في هذا النمط هي الهمزة، لأنها تمتاز بدخولها على الاسم، وعلى الفعل. واتفق البلاغيون على جواز تقديم الفاعل على الفعل، على أن ينتقل من وظيفته الإعرابية إلى وظيفة إعرابية أخرى، فينتقل من وظيفة الفاعلية إلى وظيفة الابتداء إذا كان فاعلا لفظياً، وكذلك ينتقل من وظيفة التوكيد، أو البدل إذا كان الفاعل معنوياً إلى وظيفة الابتداء، فالبلاغيون يرفضون أن يتصدر الفاعل الجملة مع بقائه فاعلا سالكين في هذا مسلك البصريين[2]. واستندوا في ذلك على حجج وبراهين.

ذهب **الرازي** (ت ٦٠٦ هـ) إلى أن الإسناد يتطلب وجود المسند ثم المسند إليه؛ لتتم الفائدة فالمسند يهيئ الذهن لذكر عنصر آخر لابد أن يتبعه؛ لأنه لا يستقل

---

[1] انظر:المصباح في المعاني، ٢٧. ونهاية الأرب في فنون الأدب، ٦٦:٧. والإيضاح في علوم البلاغة، ٧٨:٢-٧٩.

[2] مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني (ضمن شروح التلخيص)، ٤١٤:٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بنفسه، فالفاعل واجب الذكر بعد الفعل، فلا يتقدم عليه محتفظاً بحالته الإعرابية،" فالفعل هو اللفظ الدال على ثبوت معنى لشيء غير معين في زمان معين فالإسناد كالجزء الذاتي لمفهوم الفعل، والإسناد أمر إضافي، والعقل إذاً حصل له الشعور بالإضافة. فلو توقف هناك ولم ينتقل إلى ما إليه الإسناد كانت الإضافة مستقلة بالمعلومية، وهو محال وإن انتقل إلى ما أسند إليه الفعل فذلك الشيء هو الفاعل، فإذا من ضرورة الإسناد فهم المسند إليه، وإذا وجب هذا الترتيب في الذهن وجب أيضاً في الألفاظ لأن دلالة الألفاظ على ما ثبت في النفس لا على ما في الخارج" [1].

واحتج البلاغيون كذلك لمنع جواز تقديم الفاعل على الفعل مع بقائه محتفظاً بحالته الإعرابية بأن المعمول لا يتقدم على العامل وكذلك التابع لا يتقدم على المتبوع، وعلى العامل في المتبوع وجعلوا الأولوية في عدم التقديم للتابع، إذا احتفظ بحالته الإعرابية، لأن في تقديمه تقديماً على العامل والمتبوع معاً،" فالفاعل المعنوي هو ما يكون تأكيداً، أو بدلاً عند التأخير، فيكون تابعاً، والتابع ما دام تابعا كالفاعل ما دام فاعلا، بل امتناع التابع ما دام تابعاً أولى، لأن المراد بالتقديم هنا، التقديم على العامل، وتقديم الفاعل إنما فيه التقديم على العامل فقط، وتقديم التابع فيه التقديم على المتبوع، وعلى العامل في المتبوع الذي هو في الحقيقة عامل في التابع، فإن كان أولى بالمنع فذاك، وإن لم يكن فهما متساويان في المنع" [2].

بعد العرض السابق يستخلص أن الفاعل يجوز أن يتقدم على فعله لا على نية التأخير، بل على أن ينتقل من وظيفته الإعرابية إلى وظيفة إعرابية أخرى، وهذا ما قاله البصريون وتبعهم فيه البلاغيون مستندين في ذلك إلى حجج تؤيد ما ذهبوا إليه.

---

[1] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز:فخر الدين الرازي، تحقيق:بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين الطبعة الأولى، ١٩٨٥، ص ٣١٧-٣١٨.

[2] مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح:لابن يعقوب المغربي، (ضمن شروح التلخيص) ٤١٢:٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا – تقديم المفاعيل:

أ. تقديم المفعول به:

الأصل في المفعول به أن يتأخر عن الفعل، وعن الفاعل[1]، فيذكر بعدهما لأنه فضلة في التركيب الإسنادي، وتظهر الصورة النموذجية في ترتيب العناصر وفق الشكل الآتي:

فعل + فاعل + مفعول به

ضرب + زيد + عمرا

ويترك المفعول به موقعه الأصلي بعد الفعل والفاعل؛ فيتوسط عنصرين، أو يتصدر جملة، " فقد يتقدم المفعول به عليه وحده نحو (ولقد جاء آل فرعون النذر)، وقد يتقدم عليه، وعلى العامل نحو" فريقا هدى"[2].

أ. تقديم المفعول به على الفاعل:

يتقدم المفعول به على الفاعل وحده جوازا ليصبح ترتيب الجملة على الشكل الآتي:

فعل + مفعول به + فاعل

ضرب + عمرا + زيد

وقد اتفق النحويون على جواز تقديم المفعول به على الفاعل [3] وعلى نية التأخير عندما تقتضي الظروف الملابسة للنص ذلك، كأن يقال:(ضرب عمرا زيد)، و (ضرب غلامه زيد) حيث إن المفعول به (عمرا) في الجملة الأولى، و (غلامه) في الجملة الثانية تقدما، فتوسطا بين الفعل والفاعل، وباعدا الفاعل الملازم الذكر للفعل عنه.

---

[1] انظر: شرح اللمحة البدرية، ١:٣٤٤. والكواكب الدرية، ٤:٢. والمطالع السعيد: جلال الدين السيوطي تحقيق:طاهر حمودة، الدار الجامعية/ الإسكندرية، ١٩٨٠، ١:٢٦٩.

[2] شرح اللمحة البدرية، ١:٣٤٤.

[3] انظر شرح ابن عقيل: ١:٤٤٢. والكواكب الدرية، ٢:٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب- تقديم المفعول به على الفعل والفاعل:

يتقدم المفعول به على الفعل، وعلى الفاعل معا جوازا[1]؛ ليتصدر الجملة على النحو الآتي:

مفعول به + فعل + فاعل

عمرا + ضرب + زيد

يتقدم المفعول به ولا يترك ضميرا في مكانه يقوم مقامه إعرابا، وذلك لا يكون إلا إذا كان العامل متصرفا يقوى على العمل فيما سبقه، "فقد يتقدم المفعول به على الفعل العامل فيه لقوة الفعل، مثل (الله أعبد)، و (وجه الحبيب أتمنى)"[2]. وقد يتقدم المفعول به لا على نية التأخير، ولكن على أن يترك ضميرا يشغل مكانه، ويقوم مقامه، نحو: (زيد ضربته)، فكلمة (زيد) مبتدأ، قد خرجت عن كونها مفعولا به، لأنها تركت ضميرا يخلفها، ويقوم مقامها، وقد درس النحويون هذه المسألة تحت باب الإشتغال[3].

وينتج عن تقديم المفعول به جوازا مجيء الضمير متقدما على الاسم العائد إليه؛ وذلك لأنه في النية متأخر، إذ إن اللغة تمنع أن يعود الضمير على الاسم المتأخر عنه لفظا ورتبة، وتجيز أن يعود الضمير على الاسم المتأخر لفظا المتقدم رتبة، نحو: (ضرب غلامه زيد)؛ حيث جاء الضمير في (غلامه) متقدما على الاسم العائد إليه (زيد)، و (زيد) متأخر في اللفظ، ومتقدم في الرتبة، و (غلامه) متقدم في اللفظ، ومتأخر في الرتبة، فيكون الأصل التوليدي للجملة الأساسية وفق النمط الآتي:

فعل + فاعل + مفعول به + ضمير

ضرب + زيد + غلام + (ـه).

كذلك تتغير بنية الجملة الشكلية عند تأخير العنصر المتقدم في بعض الأحيان نحو: (إياك أقصد) فإذا تأخر المفعول به المصدر في الجملة (إياك)؛ أصبحت الجملة (أقصدك).

---

[1] انظر الكواكب الدرية، ٤:٢، وهمع الهوامع، ٩:٣.

[2] الفوائد الضيائية، ٣٢١:١.

[3] انظر: شرح ابن عقيل، ١: ٤٧١. وشرح التصريح على التوضيح، ١: ٢٩٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويخرج المفعول به أيضا نتيجة التقديم عن كونه فضلة على مستوى المعنى، إذ إن التركيز يكون على العنصر المتقدم، فتدور عناصر الجملة حول العنصر المتقدم معنى.

وينتج عن التقديم أيضا وقوع الخلط، واللبس بين المفعول به المتقدم، والفاعل المتأخر إذا كانا اسمين مقصورين، أو اسمي إشارة، وذلك بسبب غياب الحركة الإعرابية، ونتيجة لهذا الخلط اتفق النحاة على جواز تقديم المفعول على الفاعل إذا توفرت قرائن لفظية ومعنوية تميز المفعول به من الفاعل؛ وذلك كاتصال علامة الفاعل بالفعل نحو: (ضربت موسى حبلى)، أو اتصال ضمير الثاني بالأول نحو: (ضرب فتاه موسى)[1]. فالعلاقة التي تتصل بالفعل تعود على الفاعل؛ لتوضحه عددا، ونوعا، ولما كانت العلامة (التاء) المتصلة بالفعل (ضرب) تدل على المؤنث، دل ذلك على أن الفاعل مؤنث، والكلمة المؤنثة في الجملة هي (حبلى)؛ إذن تكون كلمة (حبلى) هي الفاعل وكلمة (موسى) هي المفعول به ويكون أصل الترتيب في الجملة الأساسية هو:(ضربت حبلى موسى).

وبالانتقال إلى الضمير في كلمة (فتاه) في جملة (ضرب فتاه موسى) نجد أنه يعود إلى الاسم الذي يليه، ولما كان من الممتنع أن يعود الضمير على اسم متأخر رتبة، دل على أن كلمة (موسى) متقدمة رتبة، متأخرة لفظا، فيكون أصل الترتيب في الجملة هو:(ضرب موسى فتاه). كما أجازوا للمفعول به أن يتقدم على الفاعل، إذا غابت الحركة الإعرابية – عندما تتوافر القرائن المعنوية، التي يمكن بدورها أن تميز بين الفاعل والمفعول به، وذلك نحو (أكل الكمثرى موسى)، و (استحلف المرتضى المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم)[2].

وعندما تنتفي القرائن اللفظية، والقرائن المعنوية، يذهب النحويون إلى الالتزام بتقديم الفاعل وتأخير المفعول به، فتكون الجملة عندهم مقيدة بترتيب عناصرها.

---

[1] انظر شرح إبن عقيل، ١: ٤٤٢.

[2] انظر: المقتضب، ٣:١١٨. وهمع الهوامع، ٢:٢٦٠. والفرائد الجديدة: عبد الرحمن الأسيوطي، وزارة الأوقاف / العراق، ١٩٧٧، ١:٣١٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

يتمتع المفعول به كما لاحظنا فيما تقدم بحرية تامة في الانتقال من مكانه إلى مكان آخر ليس له في الأصل ويكون الانتقال إما بتوسطه بين الفعل والفاعل، وإما بتصدره رأس جملة. ويكون التقديم إما: على نية التأخير بأن لا يترك وراءه ضميرا يشغله، ويقوم مقامه، وإما لا على نية التأخير بأن تنتقل وظيفته الإعرابية إلى وظيفة إعرابية أخرى، ويدلل على ذلك الضمير الذي يتركه مكانه، والذي يقوم بوظيفته الإعرابية.

وبعد أن وضحنا معالجة النحاة لتقديم المفعول به، نبدأ بتوضيح معالجة البلاغيين للمفعول به مقدما، ومنحرفا عن أصل موقعه. نجد كتب البلاغة قد تناولت المفعول به في التركيب متوسطا بين الفعل والفاعل، ومتصدرا الجملة قبل الفعل والفاعل[1]، وقد كان اهتمام البلاغيين بتقديم المفعول به متصدرا الجملة أكثر من اهتمامهم بتقديم المفعول به متوسطا بين الفعل والفاعل.

ويتقدم المفعول به على الفعل وينصب على نية التأخير نحو: (زيدا ضربت)، ويتقدم ويرفع لا على نية التأخير نحو: (زيد ضربته). فمتى ترك المفعول به في موقعه ضميرا يحل محله يتقدم لا على نية التأخير؛ لأن هذا الفعل لا ينصب مفعولين. وإذا ورد الاسم الأول منصوبا، وقد ترك في موقعه ضميرا نحو: (زيدا ضربته) فلا يكون الاسم المتقدم مفعولا للفعل المذكور، وقد تنبه البلاغيون إلى هذه المسألة، فذهبوا إلى ما ذهب إليه النحويون، حيث أخذوا يقدرون في الجملة فعلا محذوفا يأتي إما قبل الاسم نحو: (ضربت زيدا ضربته) فيكون المفعول به المتقدم لفعل قد سبقه محذوف لا للفعل الذي يليه، وهذا التقدير يحمل على باب التأكيد. وإما أن يقدر فعل بعد الاسم نحو (زيدا ضربت ضربته)، فيكون المفعول به مفعولا مقدما لا للفعل الموجود في الأصل، ولكن للفعل المحذوف الذي قدر بعده وهذا التقدير يحمل على باب التخصيص[2].

---

[1] انظر: دلائل الإعجاز ٩٥. ونهاية الإيجاز، ٣٠٤-٣٠٦. والفوائد المشوقة إلى علوم القران وعلم البيان، شمس الدين ابي عبد الله المعروف بابن المقيم إمام الجوزية، بإشراف لجنة تحقيق التراث، مكتبة الهلال/ بيروت، ١٢٤. والإشارات والتنبيهات، ٨٥.

[2] انظر: مفتاح العلوم، ٢٢٣. والإشارات والتنبيهات، ٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد عالج البلاغيون المفعول به في ثلاثة أساليب، كما هي الحال في الفاعل، وهذه الأساليب هي: الاثبات، والنفي، والاستفهام.

أولاً – الإثبات:

الجمل المثبتة هي الجمل الخالية من أدوات النفي، وقد عالج البلاغيون هذه الجمل في تقديم المفعول به، فأحياناً كان المفعول به يتقدم على الفاعل وحده نحو: (ضرب عمراً زيد)، وأحياناً كان المفعول به يتقدم على الفعل وعلى الفاعل نحو: (زيداً ضربت)[1]. ويتقدم المفعول به أحياناً بلفظ محدود نحو (غيرك رأيت).

ثانياً – النفي:

الجمل المنفية هي التي تدخل عليها أداة من أدوات النفي نحو: (ما زيداً ضرب عمرو) حيث تقدم المفعول به (زيداً) على الفعل (ضرب) وعلى الفاعل، وسبقت هذه العناصر أداة النفي (ما)[2]. وأصل الترتيب هو:

أداة نفي + المسند + المسند إليه + الفضلة

ما + ضرب + عمرو + زيداً

ثالثاً – الاستفهام:

أصل ترتيب العناصر في الجملة الاستفهامية يكون على النحو الآتي:

أداة استفهام + المسند + المسند إليه + الفضلة

أ + ضرب + زيد + عمراً

وعندما تعدل هذه الصورة عن أصلها يكون ترتيبها على النحو الآتي:

أداة استفهام + الفضلة + المسند + المسند إليه

---

[1] انظر: المثل السائر، ٢:١٧٤. والجامع الكبير، ١٠٩. وكتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، ١١٦. والفوائد المشوقة، ١٢٤.

[2] انظر: نهاية الإيجاز، ٣٠٦. والإشارات والتنبيهات، ٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أ + عمرا + ضرب + زيد

والأداة التي استخدمت هنا هي نفسها التي استخدمت في نمط تقديم الفاعل نحو:(أزيدا تضرب؟)[1].

وبالنظر إلى أمثلة البلاغيين يلحظ أنهم يأتون بالأمثلة مقدمين ومؤخرين العناصر التي تتمتع بحرية الانتقال من موقع إلى آخر، وفق القواعد النحوية التي سار عليها النحاة، وابتعدوا عن العناصر التي أوجب النحاة إلزامها في مواقعها، ويظهر هذا واضحا في عدم ذكرهم في أمثلة التقديم والتأخير لأي مثال يكون فيه الفاعل والمفعول اسمين مقصورين، أو اسمي إشارة، أو اسمين موصولين حيث إنه لم يعثر في أمثلة البلاغيين على مثال نحو: (ما موسى ضرب عيسى)، أو(ضرب موسى عيسى)، وذلك خوفا من وقوع الاختلاط واللبس في التمييز بين الفاعل والمفعول به، فجعلوا هذا النمط من الأمثلة واجب التأخير للمفعول به. يقول **الرازي** في ذلك" إذا أوجب اللبس، كقولك: ضرب هذا ذاك، فلا يجوز فيه التقديم والتأخير ويجوز (ضرب هذا زيد) لعدم اللبس"[2].

ويرى **النويري** أن التأخير يحسن في مواضع منها: "ما يفضي إلى اللبس، كقولك: (ضرب موسى عيسى)، أو(أكرم هذا هذا)، فيجب فيه تقديم الفاعل"[3]. والواقع أن اللبس يقع في الجملة الأولى (ضرب موسى عيسى)، أما الجملة الثانية (ضرب هذا هذا) فإن اسم الإشارة فيها يقترن بالإشارة الحسية، مما يرفع اللبس عنها.

وخلاصة ما سبق أن المفعول به ينتقل من موقعه إلى موقع آخر في أساليب مختلفة التركيب، وقد يتقدم على نية التأخير، وقد يتقدم لا على نية التأخير. ومتى كان المفعول والفاعل اسمين موصولين، أو اسمي إشارة يلتزم العنصران موقعيهما.

---

[1] انظر دلائل الإعجاز، ٩٥.

[2] نهاية الإيجاز، ٣٢٠.

[3] نهاية الأرب في فنون الأدب، ٧٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب – تقديم المفعول معه:

الأصل في ترتيب العناصر في هذا النمط أن يذكر المفعول معه بعد العامل وبعد مصاحبه[1]، وفق الشكل الآتي:

فعل + فاعل + أداة + مفعول به

سار + زيد + و + النيل.

وقد عالج النحويون تقديم المفعول معه على العامل، وعالجوا تقديمه على مصاحبه، وفي هذا خلاف، فمنهم من جوز تقديم المفعول معه على مصاحبه. ومنهم من لم يجوز ذلك، فاتفقوا على عدم جواز تقديم المفعول معه على العامل[2]، وذلك مراعاة لأصل الواو من العطف، ويعلل ابن جني ذلك قائلا: "ولا يجوز تقديم المفعول معه على الفعل، نحو قولك: و(الطيالسة جاء البرد)، من حيث كانت صورة هذه الواو صورة العاطفة. ألا تراك لا تستعملها إلا في الموضع الذي لو شئت لاستعملت العاطفة فيه، نحو: (جاء البرد والطيالسة)، ولو شئت لرفعت (الطيالسة) عطفا على (البرد)، وكذلك (لو تركت والأسد لأكلك)، يجوز أن ترفع (الأسد) عطفا على التاء، ولهذا لم يجز أبو الحسن (جئتك وطلوع الشمس) أي مع طلوع الشمس، لأنك لو أردت أن تعطف بها هنا فتقول (أتيتك وطلوع الشمس) لم يجز، لأن طلوع الشمس لا يصح إتيانه لك، فلما ساوقت حرف العطف قبح (والطيالسة جاء البرد)، كما قبح (وزيد قام عمرو)"[3].

وكذلك ذهب معظم النحاة إلى عدم جواز تقديم المفعول معه على مصاحبه[4]، خلافا لابن جني، حيث أجاز استخدام (جاء والطيالسة البرد)[5].

---

(1) انظر: حاشية الصبان، ١٣٧:٢. والمساعد في تسهيل الفوائد، ٥٤٠:١.

(2) انظر: شرح اللمحة البدرية، ١٥٦:٢. وشرح الأشموني لألفية ابن مالك:تحقيق عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث / القاهرة، ٢٣١:٢، وحاشية الصبان، ١٣٧:٢.

(3) الخصائص، ٢: ٣٨٣.

(4) انظر: شرح اللمحة البدرية، ١٥٦:٢. وشرح الأشموني، ٢٣١:٢. وحاشية الصبان، ١٣٧:٢.

(5) الخصائص، ٣٨٣:٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جـ – تقديم المفعول المطلق:

الأصل في المفعول المطلق أن يلي العامل[1]، وفق الشكل الآتي:

العامل + المعمول + المفعول المطلق

ضرب + زيد + ضربا

وقد يخرج المفعول المطلق عن موضعه الأصلي، وفي ذلك خلاف، فذهب فريق إلى منع تقديم المفعول المطلق؛ لأن العامل فيه معنى الفعل، وذهب فريق إلى جواز توسيطه نحو: (هذا حقا عبد الله)، وذهب فريق إلى جواز تقديمه نحو: (أحقا زيد منطلق). يقول **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) في ذلك: " لا يجوز تقديمه على الجملة المؤكدة على الصحيح، وسببه أن العامل فيه فعل يفسره مضمونها من جهة المعنى، إذا التقدير في: (له علي دينار اعترافا)، اعترف بذلك اعترافا، وفي: (هو ابني حقا: أحقه حقا، فأشبه ما العامل فيه معنى الفعل، فلم يجز تقديمه قياسا عليه. وأجاز الزجاج توسيطه، فيقال:هذا حقا عبد الله، قال: لأنه إذا تقدم جزء فقد تقدم ما يدل على الفعل"[2].

وأضاف **السيوطي** قائلا: "وأجاز قوم: تقديمه، واستدلوا بقولهم: أحقا زيد منطلق، وأوله المانعون على أن، (حقا) هنا نصب على الظرف، لا على المصدر، أي: (أخي حق زيد منطلق)"[3].

د – تقديم المفعول له:

الأصل في المفعول له أن يلي العامل والمعمول[4] نحو:

الفعل + نائب الفاعل + المفعول له

ضرب + الولد + تأديبا

---

[1] انظر، شرح ابن عقيل، ١:٥٠٥.

[2] همع الهوامع، ٣:١٢٤ – ١٢٥.

[3] المصدر السابق، ٣:١٢٥.

[4] انظر: شرح ابن عقيل، ١:٥٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد يتقدم المفعول له على الفعل جوازا نحو:

المفعول له + الفعل + نائب الفاعل

تأديبا + ضرب + الولد

يقول ابن جني في ذلك:" ويجوز تقديم المفعول له على الفعل الناصبة نحو قولك: (طمعا في برك زرتك)، و(رغبة في صلتك قصدتك)" [1].

ثالثا – تقديم الحال:

الأصل في الحال أن تأتي بعد العامل، وبعد صاحب الحال[2]، لبيان هيئته، فيكون أصل ترتيب عناصر الجملة الأساسية وفق الشكل الآتي:

العامل + صاحب الحال + الحال

جاء + زيد + مسرعا

ويطرأ في بعض الأحيان تغيير على رتبة الحال بأن تقع قبل صاحبها تارة، أو أن تقع قبل العامل فيها تارة أخرى وذلك على النحو الآتي:

أ. تقديم الحال على صاحبها:

تتقدم الحال على صاحبها عندما يقتضي الأمر ذلك فتتوسط بين العامل وصاحبها وتظهر العناصر في الجملة وفق الترتيب الآتي:

العامل + الحال + صاحب الحال

جاء + مسرعا + زيد

ويأتي صاحب الحال إما مجرورا بحرف جر، وإما مجرورا بالإضافة، وإما اسما منفردا [3] فإن جاء مجرورا بحرف جر، يكون هذا الجار إما زائدا، وإما غير زائد.

---

[1] الخصائص، ٢:٣٨٣. وانظر:همع الهوامع، ٣:١٣٥.

[2] انظر: أسرار العربية، ١:١٩١. والكواكب الدرية، ٢:٢٨ .

[3] انظر: شرح التصريح، ١: ٣٥٤. وهمع الهوامع، ٤: ٢٦. والفوائد الضيائية، ١: ٣٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد اتفق النحاة على جواز تقدم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر زائد، يقول الأزهري في هذه المسألة:" يجوز تقديم الحال على صاحبها المجرور به اتفاقاً، كما يجوز التقديم على الفاعل والمفعول، نحو: (ما جاءني راكبا من أحد)" [1]. واختلفوا في تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر غير زائد، فذهب البصريون إلى منع تقديم الحال على صاحبها إذا كان مجروراً بحرف جر غير زائد، وذهب الكوفيون إلى جواز ذلك.

تسمك البصريون بمنع تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر غير زائد؛ " لأن تعلق العامل بالحال ثان لتعلقه بصاحبه، فحقه إذا تعدى لصاحبه بواسطة أن يتعدى إليه بتلك الواسطة، لكن منع من ذلك خوف التباس الحال بالبدل، وإن فعلا واحداً لا يتعدى بحرف واحد إلى شيئين، فجعلوا عوضاً من الإشراك في الواسطة التزام التأخير، وبأن حال المجرور بحرف شبيه بحال عمل فيه حرف جر مضمّن معنى الاستقرار نحو: (زيد في الدار متكئا)، فكما لا يجوز تقديم الحال على حرف الجر في مثل هذا، لا يقدم عليه هنا"[2].

فلا يجوز عندهم أن يقال: (مررت ضاحكة بهندٍ)؛ لأن الفعل إذا تعلق بصاحب الحال بحرف يجب أن يتوصل إلى الحال بذلك الحرف، فيقال: (مررت بضاحكة هند)، وينتج عن هذا التعدي التباس الحال بالبدل، لذلك وجب تأخير الحال هنا فيقال: (مررت بهند ضاحكة)[3].

أما الكوفيون فأجازوا تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر غير زائد[4]، وجاءوا على ذلك بشواهد من القرآن الكريم، حيث استشهدوا بقوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس) [5]؛ حيث تقدمت الحال (كافة) على صاحبها المجرور بحرف غير زائد (للناس)، وإذا جاء صاحب الحال مجروراً بالإضافة، فقد اتفق النحاة القدماء على منع تقدم الحال على صاحبها المجرور بالإضافة،" لئلا يفصل بين المضاف

---

[1] شرح التصريح، ١: ٣٥٤.

[2] همع الهوامع، ٤:٢٦.

[3] انظر: همع الهوامع، ٤: ٢٥.

[4] انظر: شرح ابن عقيل، ٢:٩٠،٥. والفوائد الضيائية، ١: ٣٨٨ .

[5] سورة سبأ:الآية ٢٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمضاف إليه، ولا على قيام الذي هو المضاف، لأن نسبة المضاف إليه من المضاف كنسبة الصلة من الموصول، فلا يقدم عليه شيء من معمولاته" [1]. ويقول الجامي: " فإن كان مجروراً بالإضافة لم تتقدم الحال عليه اتفاقاً نحو (جاءتني مجرداً عن الثياب ضاربة هند)، وذلك لأن الحال تابع، وفرع لذي الحال، والمضاف إليه لا يتقدم على المضاف فلا يتقدم تابعه أيضاً"[2].

وإذا جاء صاحب الحال مرفوعاً، أو منصوباً، أو مجروراً، فالكوفيون منعوا تقديم الحال عليه إلا في صورة واحدة وهي إذا كان صاحب الحال مرفوعاً والحال مؤخراً عن العامل، فيجوزون (جاء راكباً زيد)[3]، ومنعوا تقديم الحال على صاحبها المنصوب؛ لمنع وقوع اللبس في صاحب الحال نحو (رأى عمرو راكباً زيدا) فيقع اللبس في أن (زيدا) بدلا من (راكباً).

ب. تقديم الحال على العامل:

تتقدم الحال على صاحبها، وعلى العامل فيها، فتتصدر الجملة، وتكون الصورة وفق الشكل الآتي:

الحال + العامل + صاحب الحال

راكباً + جاء + زيد

ويكون العامل لفظياً، أو معنوياً. فإذا كان العامل لفظياً تتقدم الحال على الفعل. وفي ذلك خلاف: فالبصريون ذهبوا إلى جواز تقديم الحال على العامل اللفظي، والكوفيون منعوا تقديمها على العامل اللفظي.

ذهب البصريون إلى أنه " يجوز تقديم الحال على العامل فيها، إذا كان العامل فعلا نحو: (راكباً جاء زيد) للنقل والقياس؛ أما النقل فقولهم في المثل " شتى

---

[1] همع الهوامع، ٤:٢٥.

[2] الفوائد الضيائية، ١:٣٨٨.

[3] انظر: كتاب الكافية في النحو: جمال الدين أبي عمر عثمان بن الحاجب، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢، ١: ٢٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تؤوب الحلبة"، فـ(شتى) حال مقدّمة على الفعل العامل فيها مع الاسم الظاهر، فدلّ على جوازه، وأما القياس فلأن العامل فيها متصرف، وإذا كان العامل متصرفاً وجب أن يكون عمله متصرفا، وإذا كان عمله متصرفا وجب أن يجوز تقديم معموله عليه، كقولهم (عمراً ضرب زيد) فالذي يدل عليه أن الحال تُشَبّه بالمفعول، وكما يجوز تقديم المفعول على الفعل، فكذلك يجوز تقديم الحال عليه" [1].

وأتى المبرد بالأمثلة التي توضح تقديم الحال على عاملها المتصرف، " فإن كان العامل في الحال فعلا، صلح تقديمها، وتأخيرها، لتصرف العامل فيها، فقلت (جاء زيد راكباً)، و(راكبا جاء زيد)، و(جاء راكبا زيد). قال الله عز وجل (خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث)، وكذلك (قائماً لقيت زيداً)، و (قائماً أعطيت زيداً درهما)، و(ذاهباً إليك رأيت زيد)"[2].

وذهب **ابن يعيش** إلى جواز تقديم الحال على العامل المتصرف، وعلى المشتقات التي تعمل عمل الفعل "وكذلك ما أشبهه من الصفات يجوز تقديم الحال عليه إذا كان عاملا فيها، فتقول: (زيد ضارب عمرا قائماً)، و (قائماً زيد ضارب عمرا)، وكذلك اسم المفعول، والصفة المشبهة باسم الفاعل، حكم الجميع شيء واحد"[3].

---

[1] الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين:البصريين والكوفيين:عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٩٨٢، ١٥٢:١.

[2] المقتضب، ٣٠٠:٤.

[3] شرح المفصل، ٥٧:٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد ذهب الكوفيون إلى منع تقديم الحال على العامل المتصرف، واحتجوا لذلك بأن تقديم الحال على عاملها " يؤدي إلى تقديم المضمر على المظهر، ألا ترى أنك إذا قلت: (راكبا جاء زيد) كان في (راكبا) ضميره، وقد تقدم عليه، وتقديم المضمر على المظهر لا يجوز" [1].

وإن اختلف النحويون في جواز تقديم الحال على عاملها المتصرف، فإنهم اتفقوا على منع تقديم الحال على عاملها المعنوي (الجامد)، لأنه لا يتصرف تصرف الفعل،" وإن كان العامل فيه معنى فعل نحو:" هذا زيد قائما" لم يجز تقديم الحال عليه، فلو قلت: (قائما هذا زيد) لم يجز؛ لأن معنى الفعل لا يتصرف تصرفه فلم يجز تقديم معموله عليه" [2].

وخلاصة ما سبق أن الحال تتقدم على صاحبها إذا كان مجرورا بحرف جر زائد، ولا تتقدم على صاحبها إذا كان مجرورا بحرف جر غير زائد، خوفا من وقوع اللبس في أن الحال بدل، ولا تتقدم على صاحبها إذا كان مجرورا بالإضافة؛ لأن المضاف إليه لا يتقدم على المضاف، أما تقديم الحال على العامل فجائز ولا ضرر إذا كان متصرفا، وغير جائز إذا كان عاملا غير متصرف.

بعد أن تناولنا الجانب النحوي ونظرة النحويين إلى تقديم الحال، ننتقل إلى الجانب البلاغي. فقد تناول البلاغيون الحال عندما تتقدم على صاحبها حسب، دون تقدمها على عاملها، فلم يأتوا بتركيب تتقدم فيه الحال على العامل. كما تناولوا صاحب الحال مفردا، وابتعدوا عنه عندما يكون مجرورا بحرف جر، أو مجرورا بالإضافة، وقد ظهر هذا الأسلوب عند البلاغيين في صورتين مختلفتين[3]. أما الصورة الأولى فتأتي عندما يكون صاحب الحال اسما مفردا، والحال مؤخرة عن العامل في سياق مثبت نحو: (جاء راكبا زيد)، و (جاء ضاحكا زيد)[4]؛ حيث تتقدم الحال (راكبا) في الجملة الأولى،

---

[1] الإنصاف في مسائل الخلاف، ١:٢٥١. وانظر:أسرار العربية، ١:١٩١.

[2] أسرار العربية:١:١٩١٩- ١٩٢، وانظر الفوائد الضيائية، ١:٣٨٧.

[3] انظر: المثل السائر:٢:١٧٩. والاشارات والتنبيهات ٩٧٥. وكتاب التبيان، ١٢٢.

[4] انظر: المثل السائر، ٢:١٧٩. والفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان، ١٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

و (ضاحكاً) في الجملة الثانية على صاحبها (زيد) في الجملة الأولى والثانية، وجاءت الحال المتقدمة في سياق مثبت يتكون من فعل وفاعل.

وأما الصورة الثانية فتظهر عندما تتقدم الحال على صاحبها المفرد في سياق تذكر فيه أداة نفي، وأداة استثناء، لتفيد القصر، ومن الذين تنبهوا لهذه الصورة محمد بن علي الجرجاني، والطيبي.

يقول **محمد بن علي الجرجاني** عندما يذكر بأن القصر يأتي بين الحال وصاحبها:" وفي قصر ذي الحال على الحال: (ما جاء زيد إلاّ راكباً)، والعكس بالعكس" [1] نحو: (ما جاء راكباً إلاّ زيد) فجاءت هذه الصورة في سياق منفي بـ(ما)، وبوجود أداة الاستثناء (إلاّ).

ويوضح **الطيبي** حديث محمد بن علي الجرجاني السابق قائلاً: "(ما جاء زيد إلا راكباً)، أي ما جاء زيد كائناً على حال من الأحوال إلاّ راكباً، وفي عكسه (ما جاء راكباً إلاّ زيد)"[2].

رابعاً – تقديم المستثنى:

الأصل في المستثنى أن يتأخر عن المستثنى منه [3] في أسلوب الاستثناء الذي يتكون من مجموعة عناصر هي: المستثنى منه، وأداة الاستثناء، والمستثنى. وترتيب هذه العناصر في الجملة يكون على النحو الآتي:

فعل + فاعل + مستثنى منه + أداة استثناء + مستثنى

ضرب + زيد + الأولاد + إلاّ + خالداً

ويتقدم المستثنى في بعض الأحيان على المستثنى منه، ويتقدم على العامل أحياناً أخرى.

---

[1] الإشارات والتنبيهات، ٩٧.

[2] كتاب التبيان في علم المعاني، ١٢٢.

[3] انظر: شرح ابن عقيل، ٥٤٣:١. وشرح اللمحة البدرية، ١٦٦:٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويتقدم المستثنى على المستثنى منه عندما يقتضي الأمر ذلك، فيظهر ترتيب العناصر في الجملة الثانوية على الشكل الآتي:

فعل + أداة استثناء + مستثنى + مستثنى منه

حضر + إلاّ + زيداً + القوم

ويأتي الكلام في أسلوب الاستثناء عند تقدم المستثنى إما موجباً، وإما منفياً[1]، فإن كان موجباً وجب نصب المستثنى نحو:" قام إلاّ زيداً القوم" .

وان كان الكلام منفياً يأتي المستثنى إما منصوباً، أو مرفوعاً، والمختار النصب؛ "لأنه قبل تقدم المستثنى كان فيه وجهان البدل والنصب، فالبدل هو الوجه المختار على ما سيذكر بعد. والنصب جائز فلما قدمته امتنع البدل الذي هو الوجه الراجح، لأن البدل لا يتقدم المبدل منه من حيث كان من التوابع كالنعت، والتأكيد، وليس قبله ما يكون بدلاً منه فتعيين النصب الذي هو مرجوح للضرورة ومن النحويين من يسميه أحسن القبيحين. ونظير هذه المسألة صفة النكرة إذا تقدمت نحو: (فيها قائماً رجل)، فلا يجوز في (قائم) إلاّ النصب، لأنك إذا أخرته فقلت: (فيها رجل قائم) جاز في (قائم) وجهان: الرفع على النعت، والنصب على الحال، إلاّ أن الحال ضعيف؛ لأن نعت النكرة أجود من الحال منها فإذا قدم بطل النعت، وإذا بطل النعت تعين النصب على الحال ضرورة، فصار ما كان جائزاً مرجوحاً مختاراً"[2].

وقد روي المستثنى المقدم في سياق النفي مرفوعاً عن بعض العرب يقول سيبويه: "وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون: (مالي إلا أبوك أحد) فيجعلون (أحداً) بدلاً، كما قالوا (ما مررت بمثله أحد) فجعلوه بدلاً"[3].

وكذلك ذهب الكوفيون والبغداديون إلى جواز تقديم المستثنى على المستثنى منه، والى جواز غير النصب في المستثنى نحو:(ما قام إلاّ زيد أحد) على الإتباع[4].

---

[1] انظر: شرح ابن عقيل، ١: ٥٤٦-٥٤٧

[2] شرح المفصل، ٢: ٧٩.

[3] الكتاب، ٢: ٣٣٧.

[4] انظر، شرح التصريح، ١: ٣٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإذا تقدم المستثنى والمستثنى منه على العامل ففيه ثلاثة مذاهب أحدها: المنع، فلا يقال: (القوم إلاّ زيداً قاموا)، ولا (القوم إلاّ زيداً في الدار)، وذلك تشبيهاً بالمفعول معه حيث منع أن يتقدم على العامل؛ مراعاة لأصل الواو من العطف. والمذهب الثاني: الجواز استناداً على (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) فالاستثناء من ضمير (باطل)، و (باطل) فاعل في ذلك الضمير، والمذهب الثالث: الجواز مع الفعل المتصرف، والمنع مع الفعل الجامد الذي لا يقوى على العمل[1].

إن ما سبق من عرض يشير إلى أن المستثنى يتقدم على المستثنى منه إذا كان الكلام منفياً، ويأتي المستثنى منصوباً وهو الشائع، وقد يأتي مرفوعاً وهو النادر. ويتقدم المستثنى والمستثنى منه على العامل. وفي ذلك خلاف فمنهم من جوّز ذلك، ومنهم من رفض ذلك، ومنهم من جوّز بشروط.

وبالانتقال إلى الجانب البلاغي نجد أن البلاغيين قد عالجوا أثناء تناولهم للتراكيب المختلفة تقديم المستثنى في أسلوب الاستثناء، واقتصروا في معالجتهم لهذا الأسلوب على صورة واحدة يتقدم فيها المستثنى على المستثنى منه وفي سياق منفي[2]، نحو: (ما قام إلاّ زيداً أحد)؛ حيث تقدم المستثنى المنصوب (زيداً) على المستثنى منه الفاعل (أحد) في سياق منفي بأداة نفي هي (ما) ونحو: (ما ضربت، إلاّ زيداً أحداً)؛ حيث تقدم المستثنى (زيداً) على المستثنى المفعول به (أحداً) في سياق منفي كذلك.

خامساً – تقديم التمييز:

الأصل في التمييز أن يأتي بعد المميز، ليوضحه، وليبينه،[3] ويكون ترتيب العناصر في الجملة وفق الشكل الآتي:

العامل + المميز + التمييز

طاب زيد نفساً

---

[1] انظر، همع الهوامع، ٢٦١:٣.

[2] انظر: المثل السائر، ١٧٩:٢. والفوائد المشوقة ١٢٧. والطراز المتضمن في أسرار البلاغة: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، مطبعة المقتطف/مصر، ١٩١٤، ٧٣:٢.

[3] انظر: حاشية الصبان، ١٩٤:٢. وشرح اللمحة البدرية، ١٤٥:٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويخرج التمييز عن أصل وضعه، ليتقدم على المميز تارة، وليتقدم على العامل، وعلى المميز معاً تارة أخرى.

أ – تقديم التمييز على المميَّز:

يتقدم التمييز على المميَّز جوازاً إذا كان العامل متصرفاً، ويكون ذلك على النحو الآتي:

العامل + التمييز + المميز

طاب نفساً زيد

وفي ذلك اتفاق بين النحويين. أما إذا كان العامل غير متصرف فلا يجوز أن يتقدم التمييز على المميَّز، لأنه لا يقوى على العمل فيما سبقه من العناصر، لذلك وجب أن لا يفارق التمييز موضعه إذا كان العامل غير متصرف[1].

ب – تقديم التمييز على المميَّز والعامل:

يتقدم التمييز على المميز وعلى العامل معاً، وذلك وفق الشكل الآتي:

التمييز + العامل + المميَّز

نفساً طاب زيد

وفي ذلك خلاف بين النحويين، فانقسموا فريقين: فريقاً ذهب إلى جواز تقديم التمييز على العامل والمميز معاً، وفريقاً ذهب إلى عدم جواز ذلك.

أما الفريق الأول فذهب إلى جواز تقديم التمييز على العامل والمميَّز متكئاً في ذلك على جواز تقديم الحال على عاملها المتصرف، إذ إن جواز تقديم الحال على العامل المتصرف يدل على جواز تقديم التمييز على العامل، لأن التمييز عند الفريق بمنزلة الحال[2]، "واحتجوا لذلك ببيت أنشدوه وهو:

أتهجر سلمى بالفراق حبيبها وما كاد نفساً بالفراق تطيب

---

[1] انظر: شرح التصريح، ١: ٤٠٠.

[2] انظر: المقتضب، ٣: ٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أراد وما كاد تطيب نفسا بالفراق ولا حجة في ذلك لقلته؛ وشذوذه مع أن الرواية "وما كاد نفسي بالفراق تطيب" [1].

أما الفريق الثاني فيرى أن مما يقبح تقدمه الاسم المميز، وان كان العامل فيه فعلا متصرفا، يقوى على العمل، فلا يجوز عندهم أن يقال: (شحما تفقأت)، ولا (عرقا تصببت)، والسبب في ذلك" أن هذا المميز هو الفاعل في المعنى ألا ترى أن أصل الكلام (وتصبب عرقي)، و(تفقأ شحمي) ثم نقل الفعل، فصار في اللفظ لي، فخرج الفاعل في الأصل مميزا، فكما لا يجوز تقديم الفاعل على الفعل، فكذلك لا يجوز تقديم المميز، إذا كان هو الفاعل في المعنى على الفعل" [2].

ولا يجيز **الأنباري** تقديم التمييز على العامل. وظهر ذلك في رده على رأي المبرد في أن الحال كالتمييز عند التقديم فيقول: " إنما جاز ذلك لأنك إذا قلت: (جاء زيد راكبا)، وكان (زيد) هو الفاعل لفظا ومعنى، وإذا استوفى الفعل فاعله بنزل (راكبا) منزلة المفعول المحصن فجاز تقديمه كالمفعول نحو: (عمرا ضرب زيد) بخلاف التمييز، فإنك إذا قلت (تصبب زيد عرقا) لم يكن (زيد) هو الفاعل في المعنى، وكان الفاعل في المعنى هو (العرق)، فلم يكن (عرقا) في حكم المفعول من هذا الوجه، لأن الفعل قد استوفى فاعله لفظا لا معنى فلم يجز تقديمه كما لم يجز تقديم الفاعل." [3]

وذهب هذا المذهب **نور الدين الجامي** حيث يقول: " فأصح المذاهب: أن لا يتقدم التمييز على ما هو عامل فيه من الفعل الصريح، أو غير الصريح؛ لكونه من حيث المعنى فاعلا للفعل بنفسه نحو: (طاب زيد أبا) أي: طاب أبوه أو فاعلا له إذا جعلته لازما نحو: (وفجرنا الأرض عيونا) أي انفجرت عيونها، وإذا جعلته متعديا نحو: (امتلاء الإناء ماء): أي ملأه الماء، والفاعل لا يتقدم على الفعل، فكذا ما هو بمعنى الفاعل"[4].

---

[1] شرح المفصل، ٧٤:٢.

[2] الخصائص، ٣٨٤:٢.

[3] أسرار العربية، ١٩٨:١.

[4] الفوائد الضيائية، ٤٠٧:١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتنبه **ابن الحاجب** إلى سبب آخر في منع تقديم التمييز فهو يرى أن التمييز لا يتقدم لا لأنه فاعل في المعنى فحسب، وإنما" لأن تقديمه يخرجه عن حقيقة التمييز، فكان في تقديمه إبطال أصله، إذ حقيقة التمييز أن يميز ما أشكل وهو في المعنى تفسير، والتفسير لا يكون إلا المفسر، والمفسر لا بد في المعنى أن يكون مقدماً على التفسير، وإلا لم يكن تفسيراً له، وفي تقديم التمييز إخراجه عن ذلك فوجب تأخيره"[1].

وأما البلاغيون فلم يتحدثوا عن هذا النمط. وأشار **الرازي** إلى أن التمييز لا يتقدم على المميز عندما ذكر الوجوه المتعينة للتأخير، ويقول في ذلك: " ما لم يكن له قوة في العمل كالفعل وهو الصفة المشبهة والتمييز، وما عمل فيه حرف، وما عمل فيه معنى، فالأول: كقولك: (هو حسن وجهاً وكريم أب)، والثاني كقولك: (تصبب عرقاً)"[2].

سادساً – تقديم شبه الجملة (الجار والمجرور – الظرف):

وتطلق هذه التسمية على الجار والمجرور، وعلى الظروف. والأصل في شبه الجملة التي تتكون من الجار والمجرور، أومن الظرف أن تلي المتعلق بها فعلاً كان أو اسماً وتظهر الصورة وفق النمط الآتي:

الفعل (المتعلق) + الفاعل + الجار والمجرور أوالظرف

جاء + زيد + من الدار

جاء + زيد + ليلاً

أُطلق على حروف الجر تسميات مختلفة، إعلم أن هذه الحروف تسمى حروف الإضافة لأنها تضيف معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها، وتسمى حروف الجر؛ لأنها تجر ما بعدها من الأسماء أي تخفضها، وقد يسميها الكوفيون حروف الصفات لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات"[3].

---

[1] الإيضاح في شرح المفصل، ١:٣٥٦.

[2] نهاية الإيجاز، ٣٢٠.

[3] شرح المفصل، ٨: ٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويأتي الجار والمجرور والظرف في الجملة ليزيد معنى على المعنى الرئيس الذي ينتج من الركنين الأساسيين في الجملة نحو: (سافر زيد ليلاً)، حيث إن الجملة تستقل في المعنى دون الظرف (ليلاً)، ولكن بإضافة هذا العنصر تتولد جملة ذات معنى جديد.

يتعلق الجار والمجرور، والظرف بمتعلق يعود إليه، وقد يكون هذا المتعلق فعلاً، وقد يكون اسماً، نحو (جاء زيد من البيت)، فالجار والمجرور (من البيت)، متعلق بالفعل (جاء)، ونحو: (زيد مسافر غداً)، فالظرف (غداً) متعلق بالاسم (مسافر).

تتمتع شبه الجملة (الجار والمجرور، والظرف) بحرية كبيرة في الانتقال من موضعه الأصلي، بعد الأركان الرئيسية، وبعد المتعلقات إلى موقع آخر، يتقدم فيه على متعلقه ويكون ذلك وفق النمط الآتي:

شبه الجملة + الفعل + الفاعل

من الدار + جاء + زيد

ليلاً + جاء + زيد

وقد تتوسط بين ركنين متسلسلين في الذكر نحو:

الفعل + الفاعل + شبه الجملة + المفعول به

لقي + زيد + في الدار + عمر

يقول **المبرد** ذلك "وحدّ الظرف إن يكون بعد المفعول به، ومن ثمة جاز، (لقيتُ في داره زيداً)"[1].

أما فيما يخص الجانب البلاغي، فنجد البلاغيين تناولوا شبه الجملة متقدماً على الفعل، أي متصدراً الجملة، ويكون ذلك إما في الإثبات، إما يكون وارداً في النفي"[2].

---

[1] المقتضب، ٤: ١٠٢.

[2] الطراز، ٢: ٧٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ففي الصورة الأولى يتقدم الجار على الفعل في الإثبات،[1] نحو قوله تعالى (عليه توكلت وإليه أنيب)[2]، وقوله تعالى (له الحكم وإليه ترجعون)[3]، وقوله تعالى (إلى الله تحشرون)[4]، حيث تقدم الجار والمجرور (عليه) و (إليه) في الآية الأولى على الفعل (توكل)، و (أناب)، والسياق الوارد هنا مثبت، وتقدم الجار والجرور في الآية الثانية (إليه) على الفعل (ترجعون)، وتقدم الجار والمجرور إلى (الله) على الفعل (تحشرون) في الآية الثالثة.

أما في الصورة الثانية التي تتقدم فيها شبه الجملة على المتعلق في سياق منفي[5]، فنحو: (ما بهذا أمرتك) حيث تقدم الجار والمجرور على الفعل ليحتل مكان الصدارة بعد أداة النفي (ما). وبعد التعرف على أنماط التقديم والتأخير في الجملة الفعلية، والتعرف على كيفية تناول النحويين والبلاغيين لها، ننتقل إلى أنماط التقديم والتأخير في الجملة الاسمية.

ثانيا ـ الجملة الاسمية:

أ – أصالة ترتيب عناصر الجملة الاسمية:

تتكون الجملة الاسمية من ركنين أساسيين هما: المبتدأ والخبر، وهذان الركنان متلازمان فلا يذكر أحدهما دون الآخر، ولا تتم الفائدة إلا بوجودهما معا، وقد يحذف أحدهما ولكن لا بد من تقديره لشدة تلازمهما " فهما ما لا يستغنى واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا"[6]. ويقول **ابن يعيش** (ت٦٤٣هـ) "اعلم أن المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعها، فالمبتدأ معتمد الفائدة، والخبر محل الفائدة فلا بد منهما"[7].

---

[1] انظر:المثل السائر:٢: ١٧٨. والإشارات التنبيهات، ٨٥. والبرهان في علوم القرآن، ٢٧٧.

[2] سورة هود:الآية ٨٨.

[3] سورة القصص:الآية ٨٨.

[4] سورة آل عمران:الآية ١٥٨.

[5] انظر:دلائل الإعجاز، ٩٨. ونهاية الإيجاز، ٣٠٧. ومفتاح العلوم، ٢٣٩.

[6] الكتاب، ١: ٢٣.

[7] شرح المفصل، ١: ٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومذهب النحاة أن أصل ترتيب هذه العناصر هو: المبتدأ أولاً فالخبر ثانياً ونصوا على خروج الخبر عن موقعه ليأتي في موقع المبتدأ. يقول إبن مالك:

والأصل في الأخبار أن تؤخرا وجوزوا التقديم إذ لا ضررا [1]

حيث ذكر إبن مالك أن الأصل تأخير الخبر، ويجوز تقديمه عند عدم وجود لبس في التركيب، وعلل النحويون سبب تقديم المبتدأ وتأخير الخبر" بأن المبتدأ محكوم عليه فحقه التقديم ليتحقق تعقله فيكون حق الخبر التأخير لأنه محكوم به"[2]، ولأن المبتدأ ذات والخبر حال من أحوالهما، والذات متقدمة على أحوالها" [3].

كما نص البلاغيون على أن الأصل في ترتيب عناصر الجملة الاسمية هو أن يذكر المبتدأ أولاً ثم الخبر ثانياً، وذلك عندما صرحوا بأن الاسم المعرفة المتقدم في الجملة الاسمية هو المبتدأ، والاسم الثاني المعرفة هو الخبر؛ إذ إن المبتدأ هو الموصوف والخبر هو الصفة. ومن حق الموصوف أن يتقدم على الصفة، فكان من حق المبتدأ في الأصل أن يتقدم على الخبر[4].

وتدخل على الجملة الاسمية أفعال وحروف تسمى بالنواسخ تغير حكم الجملة إلى حكم آخر، حيث ترفع الأفعال الناسخة المبتدأ ويسمى اسمها، وتنصب الخبر ويسمى خبرها. وتنصب الأحرف الناسخة المبتدأ ويسمى اسمها، وترفع الخبر ويسمى خبرها. والأصل في الترتيب أن يذكر الاسم بعد الحرف الناسخ، أو الفعل الناسخ أولاً ثم الخبر بعد الاسم [5].

---

[1] شرح ابن عقيل، ١: ٢١٢.

[2] شرح التصريح، ١:١٧٠.

[3] انظر: دلائل الإعجاز، ٨٣-٨٤. ونهاية الإيجاز ١٦٣. ومفتاح العلوم ٤١٤.

[4] الفوائد الضيائية، ١: ٢٧٩.

[5] انظر: حاشية الصبان، ٢: ٢٢٥ -٢٢٦. وشرح اللمحة البدرية، ٢:٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب – أبنية التقديم والتأخير في الجملة الاسمية:

أولا – تقديم الخبر:

الأصل في المبتدأ أن يأتي متقدما على الخبر، وفي الخبر أن يلي المبتدأ رتبة [1] فتأتي الصورة النموذجية وفق الشكل الآتي:

مبتدأ + خبر

زيد + قائم

وتخرج العناصر في هذا الترتيب عن مواقعها فيتقدم الخبر على المبتدأ وتنتج جملة ثانوية تتكون من الخبر أولا فالمبتدأ ثانيا، على النحو الآتي:

خبر + مبتدأ

قائم + زيد

ويأتي الخبر عندما يتقدم على المبتدأ بصور مختلفة فيكون اسما مفردا معرفة، ويكون جملة اسمية، ويكون جملة فعلية، ويكون شبه جملة، أما المبتدأ فلا يأتي إلا بصورة واحدة وهي الأفراد. ويظهر هذا وفق الأنماط الآتية:

١– الخبر (مفرد) معرفة	**+ المبتدأ (مفرد)**
قائم	**+ زيد**
المنطلق	**+زيد**
٢– الخبر (جملة اسمية)	**+ المبتدأ (مفرد)**
أبوه قائم	**+ زيد**
٣– الخبر (جملة فعلية)	**+ المبتدأ (مفرد)**
ضربوني	**+ القوم**
٤– الخبر (شبه جملة)	**+ المبتدأ (مفرد)**
في الدار	**+ زيد**

---

[1] انظر: الفوائد الضيائية، ١: ٢٧٩. وشرح التصريح، ١: ١٧٠. والكواكب الدرية، ١: ٨٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ففي النمط الأول يتقدم الخبر الذي يحمل ضمير المبتدأ عليه، وفي ذلك خلاف فذهب بعض النحاة إلى جواز ذلك؛ لأنه في النية مؤخرا، فرفض أن يقال (قائم زيد)، "إذا لم تجعل قائما مقدما مبنيا على المبتدأ كما تؤخر وتقدم فتقول: (ضرب زيد عمرو)، وعمرو على ضرب مرتفع، وكان الحد أن يكون مقدما و يكون (زيد) مؤخرا وكذلك هذا الحد فيه أن يكون الابتداء فيه مقدما، وهذا عربي جيد وذلك قولك: (تميمي أنا)، و(مشنوء من يشنؤك)"[1].

وذهب الكوفيون إلى منع جواز تقديم خبر المبتدأ الذي يحمل ضميره عليه لأنه يؤدي إلى تقديم الضمير العائد إلى الاسم عليه[2]. مع أن التقديم هنا على نية التأخير، إذ إن أصل ترتيب عناصر الجملة هو (زيدٌ قائم) فالضمير الذي تحمله كلمة (قائم) يعود على (زيد)، و(زيد) متقدم لفظاً ورتبة، وعندما يقال (قائم زيد) فالضمير في (قائم) يعود على (زيد) المتأخر لفظاً المتقدم رتبه وهذا جائز في اللغة.

وكذلك اتفق النحاة في هذا النمط على أنه لا يجوز تقديم الخبر المعرفة على المبتدأ المعرفة في التركيب الإسنادي فأيهما تقدم فهو المبتدأ، نحو: (زيد أخوك) حيث جاء العنصران معرفتين، فـ(زيد) مبتدأ، و(أخوك) خبر. وإذا تقدم العنصر الثاني، وتأخر الأول نحو: (أخوك زيد) لم تعد كلمة (زيد) هي المبتدأ كما في الجملة الأولى، بل أصبحت خبراً، والمبتدأ كلمة (أخوك). ويقول **ابن يعيش** في هذه المسألة: " قد يقع المبتدأ والخبر معرفتين معاً كقولك: (زيد المنطلق)، و (الله الهنا)، و (محمد نبينا)، ومنه قولك: (أنت أنت)، وقول أبي النجم:

أنا أبو النجم وشعري شعري.

ولا يجوز تقديم الخبر هنا بل أيهما قدمت فهو المبتدأ"[3].

---

[1] الكتاب، ٢: ١٢٧.

[2] انظر: أسرار العربية، ١: ٦٩. شرح المفصل، ١: ٩٢.

[3] شرح المفصل، ١: ٩٨. وانظر: شرح التصريح، ١: ١٧٠. والكواكب الدرية، ١: ٨٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غير أنهم استثنوا من ذلك التركيب الذي يملك دليلاً على أن الأول هو الخبر، والثاني هو المبتدأ كما هو الحال في الفاعل والمفعول إذا اتتفت القرينة اللفظية والمعنوية نحو (ضرب عيسى موسى) فالأول هو الفاعل دائماً والثاني هو المفعول به، أما بوجود قرينه تدل على ذلك نحو: (أكل الكمثرى موسى) فإن الأول هو المفعول به، والثاني هو الفاعل لذلك فان وجدت القرينة التي تدل على أن الأول المعرفة هو الخبر جاز الابتداء به نحو " قوله: (لعاب الأفاعي القاتلات لعابه) وقوله:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهنّ ابنا الرجال الا باعد

ألا ترى أنه لا يحسن أن يكون (بنونا) هو المبتدأ؛ لأنه يلزم معه أن الشاعر لا يكون له بنون إلا بني أبنائه، وليس المعنى على ذلك فجاز تقديم الخبر هنا مع كونه معرفة لظهور المعنى، وأمن اللبس"[1].

وفي النمط الثاني الذي يأتي فيه الخبر المقدم جملة اسمية لا بد أن تحمل الجملة ضميراً يعود على المبتدأ المؤخر، نحو:" (أبوه قام زيد). وذهب بعض النحاة إلى جواز تقديم الخبر الجملة على المبتدأ، وان حمل ضميراً يعود على الاسم المتأخر[2]. وذلك لأن الاسم في النية متقدم، وذهب بعض النحاة إلى منع تقديم الخبر الذي يحمل ضمير المبتدأ عليه؛ لأنه يؤدي إلى تقديم الضمير على الاسم العائد إليه[3] وما ذهب إليه الفريق الأول هو الصواب، لأنه لا ضرر في تقديم الضمير على العنصر المتأخر لفظاً والمتقدم رتبة، والدليل على ذلك اتفاق النحاة على جواز "ضرب غلامه زيد"[4].

وفي النمط الثالث الذي يقل شيوعه يتقدم الخبر الجملة الفعلية على المبتدأ بشرط أن يحمل ضميرا يعود على المبتدأ المتأخر[5] نحو: (ضربوني قومك)، ذلك أن

---

[1] شرح المفصل: ١: ٩٩.

[2] انظر: أسرار العربية، ١: ٦٩. شرح المفصل، ١: ٩٢.

[3] انظر: المصدران السابقان، ١: ٦٩، ٢: ٩٢.

[4] انظر: أسرار العربية، ١: ٧١.

[5] انظر: شرح ابن عقيل، ١: ٤٦٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الواو في (ضربوني) تعود إلى الاسم المتأخر (قومك)، ولما كان من الممتنع أن يعود الضمير على اسم متأخر في الرتبة كان لا بد من اعتبار كلمة (قومك) متقدمة على الضمير في الرتبة، وتبعا لهذا تكون مبتدأ، وجملة (ضربوني) هي الخبر المتقدم، فيكون أصل وضع الجملة هو (قومك ضربوني).

يقول **عباس حسن** في هذه المسالة معلقا على أنه لا يجوز تقديم الخبر الجملة الفعلية الذي لا يحمل ضميرا يعود على المبتدأ: " بخلاف ما لو كان الفاعل اسما ظاهرا أو ضميرا بارزا نحو: (تتحرك كواكبها السماء)، و (قد أضاءا النجمان)، فتعرب الجملة الفعلية هنا (تتحرك كواكبها) خبرا متقدما لاشتمالها على ضمير يعود على المبتدأ (السماء) فرجوع الضمير إلى كلمة (السماء) دليل على أنها متأخرة في الترتيب اللفظي فقط، دون الترتيب الإعرابي (وهذا يسمى:الرتبة لأن الضمير لا يعود على متأخر لفظا ورتبة" [1]. هذه قضية إجتهادية وليست لغوية، وسببها هو الخضوع التام للقاعدة النحوية التي تقول أن الضمير يجب أن يعود على متقدم ظاهر، وهنا المبتدأ هو المتقدم عندهم رتبة وإن كان متأخرا لفظا.

وفي النمط الرابع الذي يأتي فيه الخبر شبه جملة يجوز أن يتقدم فيه الخبر على المبتدأ المعرفة فيقال مثلا (في الدار زيد) كما يجوز أن يتقدم إذا كان حاملا لضمير المبتدأ نحو: (في داره زيد)، وذلك لأن الضمير في قولك: (في داره زيد) غير معتمد عليه، فالمقصود (في الدار زيد).[2]

يستنتج مما سبق أن الخبر بصوره المختلفة ينتقل من موقعه الأصلي ليتصدر الجملة الاسمية، ويكون التقديم إما على نية التأخير، بأن يحتفظ الاسم بوظيفته الإعرابية، وذلك عندما تتوفر القرائن التي تميز الخبر من المبتدأ، وبأن يحمل الخبر (الجملة) ضميرا بارزا يعود إلى المبتدأ، وبأن يكون الخبر شبه جملة. وإما لا على نية التأخير وذلك بأن ينتقل من وظيفته الإعرابية إلى وظيفة إعرابية أخرى، ويكون ذلك إذا كان الخبر معرفة والمبتدأ كذلك معرفة، وإذا لم تتوفر قرائن تميز بينهما.

---

[1] النحو الوافي، ١: ٤٥٠.

[2] انظر: همع الهوامع، ٢: ٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما فيما يخص الجانب البلاغي الآخر، فإن الأنماط التي استخدمها البلاغيون في تقديم الخبر على المبتدأ هي كالآتي:

١- الخبر (مفرد) معرفة	+ المبتدأ (مفرد) معرفة
قائم	+ زيد
المنطلق	+ زيد
٢- الخبر شبه الجملة	+ المبتدأ (مفرد)معرفة
له	النصر
٣- الخبر شبه الجملة	+ المبتدأ (مفرد) نكره
في رأسه	نار

ففي النمط الأول تناول البلاغيون الخبر المفرد الحامل لضمير المبتدأ المتأخر عليه نحو: (قائم زيد) مما يدل على أنهم وافقوا بعض النحاة في جواز تقديم الخبر الذي يحمل الضمير العائد إلى الاسم المتأخر الذي يأتي مبتدأ. وجعل **العلوي** تقديم خبر المبتدأ عليه في نحو قولك: (قائم زيد) في (زيد قائم) إحدى صور التقديم والتأخير التي تناولها في كتابه" الطراز".[1]

كذلك اتجه البلاغيون في تقديم الخبر المعرفة على المبتدأ المعرفة اتجاهين: الاتجاه الأول وافقوا فيه النحويين على أن الاسم المتقدم المعرفة لا يأتي إلا مبتدأ عندما تنتفي القرائن التي تميز الخبر عن المبتدأ، والاتجاه الثاني لم يوافقوا النحويين على أن الاسم المعرفة المتقدم لا يأتي إلا مبتدأ، بل نادى بأن الاسم المعرفة المتقدم قد يخرج عن كونه مبتدأ إلى كونه خبراً.

سار **عبدالقاهر الجرجاني** في الاتجاه الأول مؤيداً النحويين في اعتبار الاسم المعرفة المتقدم مبتدأ فقط، وذلك عندما صرح بأن التقديم يكون على وجهين: تقديم على نية التأخير، وتقديم لا على نية التأخير ينتقل فيه الاسم من موقع إلى آخر مع تغيير حالته الإعرابية"، بأن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له، فتقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا ومثاله ما تصنعه (بزيد)

---

[1] انظر: الطراز المتضمن في أسرار البلاغة، ٢: ٦٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

و (المنطلق) حيث تقول مرة (زيد المنطلق)، و أخرى (المنطلق زيد)، فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكاً على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر المبتدأ كما كان، بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبراً"[1].

وناصر **السكاكي** النحاة وسابقه الجرجاني في هذه المسألة، ورأى بأن الاسم المتقدم المعرَّف لا يأتي إلا مبتدأ، ورفض بأن الاسم الدال على الذات هو المبتدأ، وبأن الاسم الدال على أمر نسبي لا يكون إلا خبراً، ويقول في ذلك:" وإذا تأملت ما تلوته عليك أعثرك على معنى قول النحويين: لا يجوز تقديم الخبر على المبتدأ إذا كانا معرفتين معاً، بل أيهما قدمت فهو المبتدأ، وما قد يسبق إلى بعض الخواطر من أن(المنطلق) دال على معنى نسبي فهو في نفسه متعين للخبرية، وأن (زيداً) دالّ على الذات فهو متعين للمبتدئية تقدم أوتأخر، فلا معرّج عليه فإن (المنطلق) لا يجعل مبتدأ الاّ بمعنى الشخص الذي له الانطلاق، وأنه بهذا المعنى لا يجب كونه خبراً، وأن (زيداً) لا يوقع خبراً الاّ بمعنى صاحب اسم (زيد)، ويكون المراد من قولنا (المنطلق زيد) الشخص الذي له الانطلاق صاحب اسم (زيد)[2].

وقد سار **الرازي** في الاتجاه الثاني فذهب إلى أن الاسم الدال على الصفة هو الخبر والاسم الدال على الموصوف هو المبتدأ، فأينما حل الاسم الدال على الصفة يكون خبراً وإن تقدم. "فالمبتدأ موصوف، والخبر صفة، فكما وجب أن يكون أحدهما في الوجود أولى بأن يكون موصوفاً، والآخر بأن يكون صفة، فكذلك في اللفظ فإذا قلنا: (الله خالقنا)، و(محمد نبينا)، فالخالقية صفة لله تعالى، والنبوة صفة لمحمد ﷺ، فهما في الحقيقة متعينتان للخبرية، ولا يصلحان للمبتدئية" [3].

---

[1] دلائل الإعجاز، ٨٣-٨٤.

[2] مفتاح العلوم، ٤١٤. وانظر: عروس الإفراح ضمن شروح التلخيص للسبكي، ٢: ١٠٠. والإشارات والتنبيهات، ٥١.

[3] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ١٦٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإن ذهب بعض البلاغيين إلى أن الاسم المعرفة المتقدم لا يأتي إلا مبتدأ فإنهم تنبهوا إلى وجود القرينة المعنوية التي تخرج الاسم المتقدم عن الابتدائية وتجعله خبراً.

يقول **عبدالقاهر الجرجاني**:" إن ههنا استدلالاً لطيفاً تكثر بسببه الفائدة وهو أنه يتصور أن يعمد عامد إلى نظم كلام بعينه فيزيله عن الصورة التي أرادها الناظم له ويفسرها عليه من غير أن يحول منه لفظاً عن موضوعه، أو يبدله بغيره، أو يغير شيئاً من ظاهر أمره على حال، مثال ذلك أنك إن قدرت في بيت أبي تمام:

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه وأرى الجني اشتارته أيد عواسل

إنّ (لعاب الأفاعي) مبتدأ، و(لعابه) خبر كما يوهمه الظاهر، لأفسدت عليه كلامه، وأبطلت الصورة التي أرادها فيه، وذلك أن الغرض أن يشبه مداده، (بأرى الجني) على معنى أنه إذا كتب في العطايا والصلات أوصل به إلى النفوس ما تحلو مذاقته عندها، وأدخل السرور واللذة عليها، وهذا المعنى إنما يكون إذا كان لعابه مبتدأ، و(لعاب الأفاعي) خبراً، فأما تقديرك أن يكون (لعاب الأفاعي) مبتدأ و (لعابه) خبراً فيبطل ذلك، ويمنع منه البتة، ويخرج بالكلام إلى ما لا يجوز أن يكون مراداً في مثل غرض أبي تمام، وهو أن يكون أراد أن يشبه (لعاب الأفاعي) بالمداد ويشبه كذلك (الأرى) به"[1].

يستخلص مما سبق أن الأصل في الاسم المعرفة أن يكون مبتدأ فقط، وذلك عند الجرجاني، والسكاكي، إلا إذا توافرت قرائن تميز الخبر المقدم عن المبتدأ المؤخر، وأن الخبر عند الرازي لا يكون إلاّ الصفة، والمبتدأ لا يكون إلا الموصوف أينما حلت مواقعهما.

وفي النمط الثاني الذي يتقدم فيه الخبر (شبه الجملة) على المبتدأ، اتبع البلاغيون[2] النحاة في جواز تقديمه على المبتدأ.

---

[1] دلائل الإعجاز، ٢٨٣-٢٨٤.

[2] أنظر: المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، ٢: ١٧٨.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وذلك نحو قوله تعالى: (له الملك)[1]، وقوله تعالى: (ولـــه الحكـــم وإليـــه ترجعون)[2]. حيث تقدم الخبر الجار والمجرور في الآية الأولى (لـــه) علـــى المبتـــدأ المعرفة (الملك) وأصل الترتيب هو: (الملك له)، وكذلك في الآية الثانية.

أما في النمط الأخير، فيتقدم الخبر (الجار والمجرور)، والخبر (الظـــرف) على المبتدأ النكرة[3]. وهذا أصل عند النحاة إذ إنه لا يبتدأ بـــالنكرة فـــإحدى حـــالات وجوب تقديم الخبر "أن يكون المبتدأ نكرة ليس له مسوغ الا تقدم الخبر، والخبر ظـــرف أو جار ومجرور (عندك رجل)"[4].

يستنتج مما سبق أن الأنماط التي عالجها البلاغيون في جواز تقديم الخـــبر مستمدة من الحقل النحوي، وهي نفسها الأنماط التي عالجها النحاة، فعـــالجوا مختلـــف المسائل التي تناولها النحاة فبعضهم مؤيد لمنهجهم، وبعضهم الآخر رافض له.

ثانيا – النواسخ:

تدخل النواسخ على الجملة الاسمية التي تتكون من المبتدأ والخبر. وتنقســـم هذه النواسخ قسمين: أفعالا، وحروفا. أما الأفعال فمثل كان وأخواتـــها، وهـــي ترفـــع المبتدأ فيسمى اسمها، وتنصب الخبر فيسمى خبرها. أما الحروف فمثل إن وأخواتـــها، وهي تنصب المبتدأ فيسمى اسمها، وترفع الخبر فيسمى خبرها. وقد سميت بالنواســـخ لأنها تنسخ الإعراب التي كانت عليه الجملة قبل دخولها.

---

[1] سورة التغابن، الآية ١.

[2] سورة القصص: الآية ٨٨.

[3] أنظر: مفتاح العلوم، ٢٢٠.

[4] شرح ابن عقيل، ١: ٢٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١- الأفعال الناسخة:

أ- كان وأخواتها:

الأصل في ترتيب عناصر الجملة التي تدخل عليها الأفعال الناسخة (الناقصة) البدء بالفعل الناقص، فالاسم، فالخبر. وتظهر الجملة الأساسية وفق الشكل الآتي:

الفعل الناقص	**+ الاسم**	**+ الخبر**
كان	**+ زيدٌ**	**+ قائماً**

وقد يترك خبر الفعل الناقص مكانه الأصلي فيتوسط بين الفعل الناسخ والاسم، أو يتصدر الجملة، فيذكر قبل الفعل الناقص وقبل الاسم. نحو:

الفعل الناقص	**+ الخبر**	**+ الاسم**
كان	**+ قائماً**	**+زيدٌ**

ونحو:

الخبر	**+ الفعل الناقص**	**+ الاسم**
قائماً	**+ كان**	**+ زيد**

أما تقديم الخبر على الاسم فقد جوّزه النحاة، لتصرف الأفعال الناقصة تصرف الفعل، "فكان فعل متصرف يتقدم مفعوله، ويتأخر، ويكون معرفة ونكره أي ذلك فعلت صلح، وذلك قولك: (كان زيد أخاك)، و(كان أخاك زيد)"[١]، ولمشابهة خبر الأفعال الناسخة بالمفعول الذي يملك الحرية في التقدم على الفاعل يقول **الأنباري** في هذا:" فلما كانت أخبارها مشبهة بالمفعول، وأسماؤها مشبهة بالفاعل والمفعول يجوز تقديمه على الفاعل فكذلك ما كان مشبهاً به" [٢].

يتقدم الخبر المعرفة على الاسم المعرفة، ولا يلتبس أحدهما بالآخر، نظراً لاختلاف الحركة الإعرابية بينهما لا كما هو الحال في المبتدأ والخبر فخبر الفعل الناقص" يتقدم على اسمها حال كونه" معرفة" حقيقية أو حكماً كالنكرة المخصصة لاختلاف اسمها وخبرها في الإعراب فلا يلتبس أحدهما بالآخر، وذلك إذا كان الإعراب

---

[١] المقتضب، ٤: ٨٧. وانظر: شرح التصريح، ١: ١٨٨.

[٢] أسرار العربية، ١: ١٣٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيهما أو في أحدهما لفظياً، نحو:(كان المنطلق زيد)، أو(كان هذا زيدٌ) بخلاف المبتدأ والخبر، فإن الإعراب فيهما لا يصلح للقرينة لاتفاقهما فيه بل لا بد من قرينة رافعه للبس. وكذلك إذا انتفى الإعراب في اسم (كان وخبرها جميعا)، ولا قرينة هناك لا يجوز تقديم الخبر نحو (كان الفتى هذا)" [1].

أما تقديم الخبر على العامل وعلى الاسم معا، فلم يمنعه النحاة لمشابهة الخبر بالمفعول، الذي يملك حرية في الانتقال من مكان إلى آخر. على العكس منه الاسم الذي يشبه الفاعل، والذي لا يتمتع بحرية في الانتقال ورتبته من الرتب المقيدة، يقول **الأنباري**:" إنما جاز ذلك لأنه لما كان مشبهاً بالمفعول، والعامل فيه متصرف جاز تقديمه عليه كالمفعول نحو: (عمراً ضرب زيد)"[2]. ويؤيده ابن هشام قائلاً:" اعلم أنه لا يتقدم الاسم على عامله لأنه على صورة الفاعل، ولا يحذف دون عامله لذلك، ويجوز أن يتقدم الخبر على عامله؛ لأنه كالمفعول قال الله تعالى: (أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون)، (فإياكم) مفعول للخبر وقد تقدم على الفعل، وتقدم المعمول يؤذن غالباً بجواز تقدم العامل"[3].

إذن يتقدم خبر الأفعال الناقصة على أسمها اتفاقاً، ويتقدم الخبر على الفعل الناقص فيتصدر الجملة في الأفعال الناقصة اتفاقاً إلاّ (دام) فلا يتقدم الخبر عليه وفاقاً، وكذلك الأمر في (ليس)، و (زال) لا يتقدم خبرها عليها وفي ذلك خلاف. أما (دام) اتفق النحاة على عدم جواز تقديم خبرها عليها، "لأنها مشروطة بدخول (ما) المصدرية الظرفية، والحرف المصدري لا يعمل ما بعده فيما قبله"[4]. ويقول **الأنباري**: "وإذا كانت (ما) في (مادام) بمنزلة المصدر فما كان من صلة المصدر لا يتقدم عليه"[5].

---

[1] الفوائد الضيائية، ١: ٤٣٢. وانظر شرح اللمحة البدرية، ٢: ٩.

[2] أسرار العربية، ١: ١٣٨.

[3] شرح اللمحة البدرية، ٢: ٩.

[4] همع الهوامع، ٢: ٨٨.

[5] الإنصاف في مسائل الخلاف، ١: ١٦٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأما في (ليس) فقد ذهب **الكوفيون** إلى منع تقديم خبرها عليها؛ لأنها جامدة غير متصرفة، فشبهوها بعسى، ونعم، والأفعال الأخرى الجامدة، كما أن معناها النفي ومعمول النفي يمتنع تقديمه عليه، وذهب البصريون إلى جواز تقديم خبرها ليس عليها لتقديم معموله في قوله تعالى: (إلا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم)[1] فكلمه (يوم) معموله للخبر (مصروفا) وقد تقدمت على الفعل (ليس) وتقدم المعمول هنا يؤذن بجواز تقدم العامل فيه[2].

وأما (زال) فقد اختلف النحويون في تقديم خبرها عليها، فانقسموا فريقين: فريقا نادى بحرية تقديم خبرها عليها ليتصدر الجملة، وفريقا نادى بمنع تقديم خبرها عليها، وكلا الفريقين وضع حججا تؤيد صحة ما ذهب إليه.

وذهب البصريون إلى عدم جواز تقديم خبر (زال) عليها، لأنها مشروطة بدخول ما، وما للنفي والنفي له صدر الكلام ولا يعمل ما بعده فيما قبله، وذهب الكوفيون إلى جواز تقديم خبر(زال) عليها لأن حرف (ما) الداخل عليها لا ينفي الفعل، وإنما هو نفي لمفارقة الفعل، وإظهار أن الفاعل حاله في الفعل متطاولة، كما أن (زال) فيه معنى للنفي و(ما) للنفي، والنفي مع النفي يصبح إيجابا [3].

تتقدم إذن أخبار هذه الأفعال على أسمائها اتفاقا وعليها كذلك اتفاقا إلا في (دام) وفاقا، وفي (ليس) خلافا، وفي (زال) خلافا.

ب- أفعال المقاربة وأفعال اليقين:

تعمل كاد وأخواتها عمل كان فترفع المبتدأ فيسمى اسمها، وتنصب الخبر فيسمى خبرها، ويشترط في خبر كاد وأخواتها أن يكون متأخرا عنها، ويجوز أن

---

[1] سورة هود، الآية ١١.

[2] أنظر: شرح اللمحة البدرية، ٢: ٩. وشرح التصريح، ١: ١٨٧. وهمع الهوامع، ٢: ٨٨. والكواكب الدرية، ١: ١٠٢.

[3] انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ١: ١٥٥-١٥٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتوسط بينها وبين اسمها" فلا يقال: (أن يقوم عسى زيد)، ولا (افعل طفقت)، وقد يتوسط نحو: (طفق يعليان الزيدان)، و(كاد يطيرون المنهزمون) "[1].

وقد علل الأهدل سبب عدم جواز تقديم الخبر قائلا:" فلا يجوز تقديمه عليها لضعفها وعدم تصرف أكثرها "[2].

أما أفعال اليقين فهناك من جوز تقديم أحد المفعولين على الآخر، وهناك من منع ذلك، يقول السيوطي أن حكم ظن وأخواتها في التقديم والتأخير "كما لو كانا قبل دخول هذه الأفعال فالأصل تقديم المفعول الأول وتأخير الثاني ويجوز عكسه" [3].

وعلل الذين رأوا أن التقديم في هذا النمط قبيح بأن" نادسبه فعل تدل عليه الجملة فقبح تقديمه كما قبح تقديم حقا من قولك: (زيد قائم حقا)، لذلك لم يعمل لأنه لو عمل وهو مؤكد لاستحق التقديم بالعمل والتأخير بالتوكيد، واستحقاق شيء واحد تقديما وتأخيرا في حال واحد محال" [4].

٢- الحروف الناسخة:

أ – إن وأخواتها:

الأصل في ترتيب عناصر الجملة الاسمية التي تدخل عليها الحروف الناسخة البدء بالحرف الناسخ، فالاسم، فالخبر. وتأتي الجملة وفق النمط الآتي:

الحرف الناسخ	+ الاسم	+ الخبر
إن	زيدا	قائم

---

[1] المساعد على تسهيل الفوائد، ١: ٢٩٩.

[2] الكواكب الدرية، ١: ١١٢.

[3] همع الهوامع، ٢: ٢٢٤.

[4] المساعد على تسهيل الفوائد، ١: ٣٦٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا يترك أي من هذه العناصر مكانه؛ لأن الحرف الناسخ جامد لا يتصرف تصرف الأفعال الناسخة التي أجيز للخبر أن يتقدم على أسمائها وعليها، إلاّ إذا جاء خبر هذه الحروف ظرفاً نحو: (إن زيداً عندك)، و(إن عندك زيداً).

وإن كانت هذه الحروف بمنزلة الأفعال إلا أنها لم تتصرف كما تتصرف الأفعال لذلك "لا يجوز أن تقول: إن أخوك عبدَالله على حد قولك: إن عبدّالله أخوك، لأنها ليست بفعل وإنما جعلت بمنزلته فكما لم تتصرف (إن) كالفعل كذلك لم يجز فيها ما يجوز فيه، ولم تقو قوته"[1].

يقول **المبرد** كذلك في عدم تصرف إن وأخواتها:" فالتقديم والتأخير نحو (إن منطلق زيداً) لا يجوز؛ لأنها حرف جامدة لا تقول فيه:فعل ولا فاعل كما كنت تقول في (كان): يكون وهو كائن وغير هذا من الأمثلة"[2].

ويؤيد **ابن يعيش** من سبقاه في رأيهما بأن: هذه الحروف جامدة غير متصرفة "ولا يجوز تقديم خبرها ولا اسمها عليها ولا تقديم الخبر فيها على الاسم ويجوز ذلك في المبتدأ وذلك لعدم تصرف هذه الحروف وكونها فروعاً على الأفعال في العمل فانحطت عن درجة الأفعال فجاز التقديم في الأفعال نحو: (قائماً كان زيد)، و(كان قائماً زيد)، ولم يجز ذلك في هذه الحروف"[3].

وإذا جاء خبر الحروف الناسخة ظرفاً أو جاراً ومجروراً نحو: (إن زيداً في الدار) يجوز تقديم أخبارها على أسمائها فيقال: (إن في الدار زيداً) وذلك انهم توسعوا في الظروف وخصوها بذلك لكثرتها في الاستعمال[4].

---

[1] الكتاب، ١: ٥٩.

[2] المقتضب، ٤: ١٠٩.

[3] شرح المفصل، ١: ١٠٣.

[4] أنظر المقتضب، ٤: ١٠٩. وشرح المفصل، ١: ١٠٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثاً- الجملة الشرطية:

تتكون الجملة الشرطية من ثلاثة أركان هي: الأداة، وفعل الشرط، وجواب الشرط. ولا بد من ذكر هذه الأركان مجتمعة حتى تتم الفائدة فلا يستغنى بعضها عن بعض إذ إن "وجود الثاني موقوفاً على وجود الأول"[1]. والأصل في ترتيب الأركان التي تتكون منها الجملة الشرطية [2] يكون وفق الشكل الآتي:

أداة الشرط	+ فعل الشرط	+ جواب الشرط
إنْ	تذهب	أذهب
إنْ	جاء خالد	نجح محمد

ويخرج هذا الترتيب عن أصله بأن يتقدم معمول فعل الشرط، أو جواب الشرط عليه، أو على الأداة، أو بأن يتقدم الجواب على الأداة وفعل الشرط معاً، وفي ذلك خلاف بين النحويين.

فقد ذهب البصريون إلى منع تقديم معمول فعل الشرط، أو جواب الشرط على الأداة، لأن لها صدر الكلام كما في أدوات الاستفهام، وما النافية، وغيرها من الحروف التي تتمتع بالصدارة[3]. إذ لا نقول: (زيداً إن تضرب اضرب) على اعتبار كلمة (زيد) مفعولاً للفعل الذي ذكر بعدها مقدماً عليه بل هي مفعول لفعل محذوف يفسره الموجود فتكون كلمة (زيداً) ويكون الفعل المحذوف جزءاً مستقلاً عن جملة الشرط.

---

[1] شرح المفصل، ٨: ١٥٥.

[2] انظر: همع الهوامع، ٤: ٣٣٢. كتاب الكافية في النحو، ٢: ٢٥٢-٢٥٣.

[3] انظر: الكافية في النحو، ٢: ٢٥٦. وهمع الهوامع، ٤: ٣٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وذهب الكوفيون إلى جواز تقديم معمول فعل الشرط أو جواب الشرط على الأداة على نية التأخير، فيجوز عندهم أن يقال: (زيدا إن تضرب اضرب) على اعتبار أن كلمة (زيدا) منصوبة بالفعل المذكور بعدها في الجملة لا بتقدير فعل محذوف "فالكسائي جوز تقديم معمول فعل الشرط والجواب على الأداة نحو: (خيرا إن تفعل يثبك الله)، و(خيرا إن أتيتني تصب)"[1].

أما إذا وجد ما ظاهره تقدم الفاعل على الفعل بأن يفصل بين الأداة الجازمة والفعل المجزوم، فإن الفاعل المذكور ليس فاعلا للفعل المذكور، وإنما لفعل آخر محذوف لأن الأداة الشرطية لا يفصل بينها وبين مجزومها بعنصر آخر يقول **ابن يعيش** في ذلك "ويقبح أن يتقدم الاسم فيه على الفعل ويفصل بينهما بالاسم لكونها جازمة للفعل، والجازم يقبح أن يفصل بينه وبين ما عمل فيه فلا يجوز (لم زيد يأتك) على معنى(لم يأتك زيد)، وكذلك بقية الجوازم لا يفصل بينها بشيء كالظرف ونحوه، لأن الجازم في الأفعال نظير الجازم في الأسماء"[2].

وهناك من ذهب إلى أن الاسم المرفوع بعد أداة الشرط لا يأتي فاعلا لفعل محذوف، وإنما فاعلا للفعل الموجود بعده، وعلى هذا الرأي يكون الفاعل متقدما على فعله المجزوم، ويظهر ذلك من قول **الفراء (ت ٢٠٧هـ)** في قوله تعالى (وان أحدا من المشركين استجارك، فأجره)[3]. حيث يقول: "(وإن أحد من المشركين استجارك) في موضع جزم، وإن فرق بين الجازم والمجزوم بـ (أحد) وذلك سهل في (إن) خاصة دون حروف الجزاء، لأنها شرط، ليس باسم ولها عودة إلى الفتح اند تلقي الاسم، والفعل وتدور في الكلام فلا تعمل، فلم يحفلوا أن يفرقوا بينها وبين المجزوم بالمرفوع، والمنصوب"[4].

---

[1] همع الهوامع، ٤: ٣٣٢.

[2] شرح المفصل، ٩: ٩.

[3] سورة التوبة، الآية ٦.

[4] معاني القران، أبو زكريا بن زياد الفراء، عالم الكتب/ بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠: ١: ٤٢٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وخلاصة ما سبق أن البلاغيين قد تابعوا النحويين في تناولهم للعناصر التي تتمتع بحرية تامة في التركيب في الانتقال من موقعها الأصلي إلى موقعٍ آخر فتكون متعددة الرتب. وهناك عناصر مقيدة الترتيب، لا يحق لها بأن تنحرف عن موقعها لتشكل صور جديدة. وقد نص النحويون على ذلك من خلال القواعد التي عالجوها، ونص البلاغيون كذلك عليها من خلال عدم ذكرهم لأي مثال تكون الرتبة فيه مقيدة.

ويتقدم العنصر فيتصدر الجملة، أو يتوسط بين عنصرين متتالين في الترتيب ويكون التقديم إما على نية التأخير، بان تحتفظ بحالتها الإعرابية، وإما لا على نية التأخير بأن تنتقل من حالتها الإعرابية إلى حالة إعرابية أخرى. فتقديم "على نية التأخير وذلك في الشيء وأقر مع التقديم على حكمه الذي كان عليه كتقديم الخبر على المبتدأ، والمفعول على الفاعل كقولك (قائم زيد)، و(ضرب عمراً زيد)، فان قائم وعمرو لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا مسنداً ومرفوعاً بذلك، وكون هذا مفعولاً ومنصوباً من أجله، وتقديم لا على نية التأخير ولكن أن ينقل الشيء عن حكم إلى حكم ويجعل له إعراب غير إعرابه كما في اسمين يحتمل كل منهما أن يجعل مبتدأ والآخر خبراً له، فيقدم تارة هذا على هذا كقولنا (زيد المنطلق)، و(المنطلق زيد) فإن المنطلق لم يقدم على أن يكون متروكاً على حكمه الذي كان عليه مع التأخير فيكون خبر المبتدأ كما كان، بل على أن ينقل عن كونه خبراً إلى كونه مبتدأ وكذا القول في تأخير زيد"[1].

كما يلاحظ أن البلاغيين اتفقوا مع النحويين في مسائل، واختلفوا في مسائل، حيث إنهم اتفقوا في وجوب وجود القرائن التي تميز العنصرين المتتاليين إذا انتفت القرائن اللفظية التي يمكن أن تميز بينهما، واختلف بعض البلاغيين معهم، في أن التمييز بين المبتدأ المعرفة مثلاً والخبر المعرفة لا يتوقف على وجود قرائن تميز ذلك، وليس بشرط عندهم أن الأول هو المبتدأ ولكن هناك ما يميز بينهما.

---

[1] الإيضاح في علوم البلاغة، ٢: ٨٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والعنصر الذي يتقدم تاركاً وراءه ضميراً يحل في موقعه، فإنه يتقدم لا على نية التأخير، أما العنصر الذي يتقدم ولم يترك وراءه ضميراً يشغل مكانه فيتقدم على نية التأخير ويظهر هذا في المفعول به وفي الفاعل واضحاً.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني

وظيفة أسلوب التقديم والتأخير

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعبر اللغة العربية عن المعاني المختلفة، وذلك لشمولها على أساليب مختلفة، وعلى تراكيب متعددة يختص كل واحد منها بمعنى محدد، فلكل صياغة شكلية معنى يختلف عن صياغة شكلية أخرى، وعلى المتكلم أن يراعي اختياره للتركيب المناسب، ليعبر عن الدلالة المقصودة التي تتمثل في ذهنه.

ويعد اللسان العربي كغيره من الألسنة، قادراً على التعبير عن المعاني المقصودة، والمختلفة، فمهما تعددت الوظائف وتشعبت فالكلام العربي قادر على استيعابها، "فاللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها، وقصورها بحسب تمام الملكة أونقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع".[1]

وبدأ الاهتمام بالمعنى وبالدلالات التي يمكن أن تنجم عنه، منذ عهد النحاة الأوائل، فمنهم من أعطى إشارات تدل على الاهتمام بالمعنى والدلالة، ومنهم من عقد فصلا في مؤلفاته يبين أهمية المعنى فيه. ولم يقتصر اهتمامهم على الشكل الخارجي (السطحي) للتركيب، وعلى الحركات الإعرابية حسب، وإنما اهتموا بالتراكيب وبالمعنى الذي يمكن أن ينجم عن أي تركيب، فكانت دراساتهم نابعة من مستويين: فأما المستوى الأول، فيتمثل في رصد الصواب والخطأ في الأداء، معتمدا على النقل والاستقراء[2].

وأما المستوى الثاني الذي سلكه النحاة "فكان يتمثل في العلاقات المتنوعة بين الكلمات، ثم بين الجمل، فاللغة العربية ذات سمات وخصائص اهتم لها النحويون القدامى أمثال سيبويه وغيره، كما اهتموا بالتراكيب، وأدركوا أن الخبرة بتراكيب اللغة هي في الوقت ذاته خبرة بالأغراض التي تعبر عنها، أو بعبارة أخرى أدرك النحاة أن

---

[1] مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر/ القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩، ٣: ١٢٧٨.

[2] انظر: البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص ٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هناك ارتباطا قويا بين ما يسمى بالتراكيب، وما يسمى بالمعاني أوالأفكار، فالعلاقة بين الفكر واللغة شغلت من بعض الوجوه هؤلاء النحاة"[1].

تنبه **سيبويه** إلى أهمية المعنى في كلام العرب، وأدرك أن التغير الذي يحدث في أي تركيب ما هو إلا لصالح المعنى، "وليس شيء مما يضطر إليه العرب إلا وهم يحاولون به وجها من المعنى" [2].

كما أدرك **الأنباري**[3] اختلاف المعنى الذي ينجم عن اختلاف التراكيب التي تحمل ألفاظا مشتركة، في روايته عن الكندي وأبي العباس، فقال: "ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس، وقال له إني لأجد في كلام العرب حشوا، فقال له أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: عبد الله قائم، ثم يقولون: إن عبدالله قائم، ثم يقولون: إن عبد الله لقائم؛ فالألفاظ متكررة والمعنى واحد. فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: عبد الله قائم، إخبار عن قيامه، وقولهم: إن عبد الله قائم، جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إن عبد الله لقائم، جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني"[4].

وقد عقد **ابن جني** بابا طويلا في كتابه "الخصائص" بعنوان: "في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني"[5]، حيث وضح في هذا الباب أن العرب والنحاة لم يغفلوا المعنى، وإنما أدركوا أهميته، وأعلوا من شأنه، يقول في ذلك: "فإن العرب كما تعني بألفاظها فتصلحها، وتهذبها، وتراعيها، وتلاحظ أحكامها

---

[1] االبلاغة والإسلوبية، ص ٣٥.

[2] الكتاب، ١:٣٢.

[3] هو أبو بكر، محمد بن القاسم، أخذ عن أبيه، وعن أبي جعفر أحمد بن عبيد. وأخذ النحو عن أبي العباس ثعلب. وله من الكتب "كتاب المشكل في معاني القرآن"، ولم يتمه، وكتاب "الأضداد في النحو"، وكتاب "الزاهر"، وغيرها. انظر ترجمته في كتاب الفهرست: ١١٩.

[4] دلائل الإعجاز، ٢٤٢.

[5] انظر: الخصائص، ١:٢١٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالشعر تارة، وبالخطب أخرى، وبالاسجاع التي تلتزمها، وتتكلف استمرارها، فإن المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها، وأفخم قدراً في نفوسها"[1].

ولما اهتم العرب بالألفاظ، لأنها دليل المعنى "أصلحوها، ورتبوها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها، ليكون ذلك أوقع لها في السمع، وأذهب بها في الدلالة على القصد"[2].

ونظراً لأهمية المعنى أثر ابن جني المعنى على الإعراب، وجعل من تقدير الإعراب في سبيل المحافظة على المعنى هو الصواب، وعدّ تقدير المعنى في سبيل المحافظة على الإعراب، مما لا طائل من ورائه، "فإن أمكنك تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى تركت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححت طريق الإعراب" [3].

كذلك نجد **أحمد بن فارس** (ت ٣٩٥هـ) قد عقد في كتابه "الصاحبي" فصلاً يدور حول أهمية المعنى، وسماه بـ"معاني الكلام"، فكانت "عند بعض أهل العلم عشرة: خبرٌ، واستخبار، وأمر، ونهي، ودعاء، وطلب، وعرض، وتخصيص، وتمن، وتعجب".[4] فبين دور المعنى في أي مثال يعرض له، فتارة كان التركيب يدل على معنى الدعاء، وتارة كان يدل على معنى الاختصاص. وغيرهما من المعاني.

أدرك النحاة إذن أهمية المعنى الناتج عن التركيب، فعالجوا التركيب اللغوي في كتبهم بنيةً ووظيفةً، ومن الدروس التي ظهرت عنايتهم فيها تركيباً ومعنى درس التقديم والتأخير الذي انتشر في كتبهم في مواطن مختلفة، والذي توصلوا من خلاله إلى

---

[1] الخصائص: ١: ٢١٥.

[2] المصدر السابق: ١: ٢١٥.

[3] المصدر السابق: ١: ٢٨٣-٢٨٤.

[4] الصاحبي: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي / القاهرة، ص ٢٨٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وظائف دلالية مختلفة، تنتج عن كيفية ترتيب العناصر في جملة مـا، واختـلاف هـذا الترتيب في جملة أخرى.

وتبع الدرس البلاغي الدرس النحوي في كيفية معالجة الـتركيب، مراعيـا جانب المعنى بشكل كبير، وأبرز من التفت إلى هذا الجانب كان **عبد القاهر الجرجـاني** مؤسس علم المعاني، الذي أخرج نظرية في النظم معتمدا فيها على علم النحو، فقـال: "واعلم أنه ليس النظم إلا أن تضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل علـى قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها"[1]. فعلى المتكلمين إذن أن يراعوا في نظم كلامهم القواعد النحويـة، فإذا أرادوا وظيفة معينة في نظم مجموعة من الألفاظ رجعوا إلى النحو، لمعرفة مـدى جوازه لصحة نظم التركيب على صورة ما، فإذا سار نظم التركيب وفق القواعد النحوية كان صوابا، وإذا خالف القواعد كان خطأ، فيترك، ويبحث عن نظم آخر يتفق والقواعـد النحوية.

وقد تناول **عبد القاهر الجرجاني** درس التقديم والتأخير، وأفاض في شرحه، وأخرج كثيرا من الدلالات، والوظائف المختلفة النابعة من اختلاف ترتيب العنـاصر، فمن هذه الدلالات ما ظهر سابقا في علم النحو، ومنها ما لم يكن قد ظهر عند النحاة.

وتابع **عبد القاهر الجرجاني** كثير من البلاغيين، فتناولوا تراكيب مختلفـة، ودققوا النظر فيها، وتمعنوا في ترتيب ألفاظها، فإن وجدوا اختلافا في الترتيب بين جملة وأخرى، ألفاظهما مشتركة، أرجعوا هذا الاختلاف لوظيفة معينة، مما جعل الوظـائف تتعدد، فزادت دراساتهم في ثروة اللغة، وقد كانت جهود البلاغيين فـي هـذا المجـال طاغية على جهود النحاة الذين تعرضوا لهذا المجال بصورة واضحة، وذلك عن طريق شرحهم الموسع للأوجه الدلالية والوظيفية حتى جعلوه علما قائما بذاته أطلقوا عليه اسم "علم المعاني".

---

[1] دلائل الإعجاز: ٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اشترك النحويون **والبلاغيون** في تصنيف الأبنية الأسلوبية للتقديم والتأخير كما ظهر في الفصل الأول، إذ إن النحويين حددوا الرتبة في الجمل، وجعلوا بعضها محفوظة، وبعضها الآخر غير محفوظة، وقد وافق علماء المعاني على التقسيم النحوي للرتبة فابتعدوا عن الحديث عن الرتبة المحفوظة، وتناولوا في الحديث الرتبة غير المحفوظة التي تتمتع في الانتقال من موقع إلى آخر، مما يؤدي إلى تنوع في الأساليب.

وتبعاً لتلك الصلة الوثيقة بين العلمين كان لا بد أن يُعثر على وظائف مشتركة بينهما، لكون النحويين هم أول من تنبه إلى أمر الدلالة، ولكون البلاغيين قد تتبعوا خُطا النحويين في دراسة هذه الظاهرة. حيث إن كلاً منهما يتناول التركيب اللغوي، ويعالجه مبنى ومعنى.

ولدى تتبعي للدراسات النحوية والبلاغية، وجدت عدداً من الوظائف التي تؤديها أنماط التقديم والتأخير، لذا فإني أعرض إليها بشيء من التفصيل معتمداً على تقسيم الدلالات على أنواع التقديم والتأخير في عناصر الجملة، فأبدأ أولاً بالجملة الفعلية.

أولاً- الوظائف الدلالية في الجملة الفعلية:

- تقديم الفاعل:

يتقدم المسند إليه على المسند لا على نية التأخير إذا اقتضى الأمر غاية معينة، ودلالة محددة تكمن في ذهن المتكلم، ولم تكن هذه الغاية، والدلالة لتظهر بتأخير المسند إليه، "إذ إن العبارة إنما تدل على المعنى بوضع مخصوص، وترتيب مخصوص، فإن بدّل ذلك الوضع، والترتيب زالت تلك الدلالة" [1]. والوظائف التي ظهرت جراء تقديم المسند إليه هي:

---

[1] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي/بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١، ص ١٩٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولاً – الاختصاص:

يقصد بالاختصاص في هذا النمط أن ينفرد المسند إليه بالفعل دون غيره. وقد عالج البلاغيون هذه الوظيفة في التركيب الإسنادي الفعلي الذي أقره النحو، ووضحوا الفرق بين الترتيب الرئيسي لأركان الجملة، وبين الترتيب الثانوي الذي يتغير فيه المسند إليه موقعاً.

يتقدم المسند إليه على المسند، لتخصيصه بالفعل، ولانفراده به، وللرد على من زعم أن الفاعل كان غير الفاعل المذكور[1]، "حيث تتناول الفعل، وتنص فيه على واحد فتجعله له، وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر، أودون كل أحد. ومثال ذلك أن تقول: أنا كتبت في معنى فلان، وأنا شفعت في بابه: تريد أن تدعي الانفراد بذلك، والاستبداد به، وتزيل الاشتباه فيه، وترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك، أوأن غيرك قد كتب فيه كما كتبت"[2].

ويرى **الطيبي** أن الفاعل (أنا) قد تقدم على الفعل (سعى)، في جملة (أنا سعيت في حاجتك)، "لقصر الإفراد إذا توهم الشركة في السعي"[3]. فأراد أن يخصص الفاعل بالفعل ليزيل خطأ السامع في الفاعل.

والسر كما عبّر **المغربي** "في إفادة هذا التقديم للاختصاص، أن تأخير الضمير في نحو هذا الكلام مصحح للعطف، والعطف يقتضي المشاركة، والتقديم ينفي صحة المشاركة التي تحصل بالعطف، ونفي المشاركة تخصيص" [4]. فإذا قيل: (قمت أنا) يجوز أن يُعطف على الضمير المتأخر فيقال: (قمتُ أنا وزيد). أما جملة (أنا قمت)، فلا يجوز العطف فيها على الضمير المتقدم، فلا يقال (أنا قمت وزيد). فبوجود

---

[1] انظر: دلائل الإعجاز، ٩٩. ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ٣٠٨. ومفتاح العلوم، ٢٣١- ٢٣٢. والإشارات والتنبيهات في علوم البلاغة، ٤٦. وكتاب التباين في علم المعاني والبديع والبيان، ١١٤.

[2] دلائل الإعجاز، ٩٩.

[3] كتاب التبيان في علم المعاني، ١١٤.

[4] مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص)، ١: ٤٠٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العطف تزول هذه الدلالة، وبغيابه تأتي. والبلاغيون متكئون في هذا الطرح على القواعد النحوية التي تمنع عطف الاسم منفرداً على جملة اسمية.

ويتقدم المسند إليه على المسند في سياق النفي كذلك نحو: (ما أنا قلت هذا)، ويفيد نفي تخصيص الفاعل بالفعل، وكأن المتكلم يقول: ما أنا الذي قلت هذا الكلام، وإنما شخص غيري. ومثل هذا النمط لا يستخدم إلا والفعل قد وقع، أي أن الاختلاف لا في ثبوت الفعل، وإنما في فاعل الفعل. "فإذا قلت: ما فعلت، كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول، وإذا قلت: ما أنا فعلت كنت نفيت عنك فعلاً ثبت أنه مفعول، تفسير ذلك أنك إذا قلت: ما قلت هذا: كنت نفيت أن تكون قد قلت ذلك، وكنت نظرت في شيء لم يثبت أنه مقول. وإذا قلت: ما أنا قلت هذا كنت نفيت أن تكون القائل له، وكانت المناظرة في شيء ثبت أنه مقول" [1].

ولأجل إفادة مثل تلك الجمل إثبات الفعل ووقوعه، لكن ليس عن طريق الفاعل المذكور، بل عن طريق غيره، لم يجز أن يقال: "ما أنا ضربت زيداً، ولا ضربه أحد من الناس"، لأن السامع في هذه الجملة يعتقد أن لا تكون أنت من ضرب زيداً، وأن لا يكون غيرك قد ضربه، ولا يصح هذا لثبوت الفعل[2]، ولا يجوز "(ما أنا قلت هذا ولا غيري)، لأن مفهوم (ما أنا قلت) ثبوت قائليه هذا القول لغير المتكلم ومنطوق (لا غيري) نفيها عنه، وهما متناقضان" [3].

ولا يجوز (ما أنا ضربت إلاّ زيداً)، وقد علل **السكاكي** (ت ٦٢٦هـ) ذلك قائلاً: "إن نقض النفي بإلاّ يقتضي أن تكون ضربت زيداً، وتقديمك ضميرك وإيلاءه حرف النفي يقتضي نفي أن تكون ضربته"[4]. وبحث البلاغيين في هذا الأمر أقرب إلى بحث النحويين، حيث كان يدرس التركيب من حيث الصحة والخطأ.

---

[1] دلائل الإعجاز، ٩٦.

[2] انظر، دلائل الإعجاز، ٩٧- ٩٨. ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ٣٠٦. ومفتاح العلوم، ٢٣٢.

[3] مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني (ضمن شروح التلخيص)، ٢: ٣٩٧.

[4] مفتاح العلوم، ٢٣٢ – ٢٣٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعلى ما سبق نأتي بالمثال الآتي: "ما محمد كتب هذا الشعر"، إن المتكلم يرى شعرا أمامه، ويعرف أن (محمدا) ليس من كتب الشعر. فجاء شخص آخر وقرأ الشعر، فظن أن (محمدا) هو من كتب الشعر، عندها يقول المتكلم "ما محمد كتب هذا الشعر"، حيث قدم الفاعل (محمد) على الفعل (كتب)، ليقول للشخص الآخر، ليس (محمد) هو من كتب الشعر، وإنما شخص غيره كتبه، أي أنه يخص النفي (بمحمد)، ويثبت الفعل لشخص آخر. كما أنه لا يجوز للمتكلم أن يقول: "ما محمد كتب هذا الشعر، ولا أحد غيره"، لأنه يستلزم في الجزء الأول ثبوت الفعل، ونفيه عن محمد فقط، والدليل على ذلك قوله: (هذا الشعر)، فهذه العبارة تتطلب أن يكون هناك فاعل لأن الشعر موجود، وفي الجزء الثاني: (ولا أحد غيره) يستلزم أن لا يكون هناك فاعل. فالتناقض واضح في الجملة، إذ إن المتكلم يثبت وجود الشعر، وبأنه قد قيل، لكن لا من محمد، وإنما من شخص آخر، ثم يجيء فيقول: (ولا أحد غيره)[1].

وكذلك تأتي هذه الوظيفة إن بني الفعل على نكرة، بأن يكون المسند إليه نكرة، نحو: (رجل جاءني)، و(أرجل طويل جاءك؟). فالفاعل (رجل) قدم في الجملة الأولى ليفيد تخصيص الجنس، وفي الجملة الثانية لتخصيص الصفة. وقد يتقدم كذلك ليفيد تخصيص العدد، أي رجل واحد لا رجلان[2]. فأحيانا "يقصد المتكلم أن الجائي من جنس الرجال لا من جنس النساء، فيكون من تخصيص الجنس، أو نحو (رجل جاءني) لا (رجلان)، حيث يقصد أن الجائي واحد من جنس الرجال لا اثنان منه فيكون من تخصيص الوحدة"[3].

ولا يقال: أرجل جاءك؟ إلا إذا علم أن شخصا قد جاء، ولا يعرف جنسه، أرجل هو أم امرأة ؟ يقول **عبدالقاهر الجرجاني** في ذلك: "فإن قدمت الاسم فقلت: أرجل جاءك؟ فأنت تسأله عن جنس من جاءه، أرجل هو أم امرأة؟ ويكون هذا منك إذا

---

[1] انظر: دلائل الإعجاز، ص ٩٦. و مفتاح العلوم ٢٣٣.

[2] انظر: دلائل الإعجاز ١٠٩- ١١٠. ونهاية الإيجاز، ٣١٣. والإيضاح في علوم البلاغة، ٢: ٦٤. الإشارات والتنبيهات، ٥٠.

[3] مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص)، ١: ٤٠٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كنت علمت انه قد أتاه آت، ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي"[1]، وكذلك إن قلت: (رجل طويل جاءني) لم يستقم حتّى تقدّر السامع أنه ظنّ أنّه أتاك قصير[2].

وتخصيص الوحدة يجري على ذاك المجرى، "فلا يُقال (أرجل جاءك ؟) إلا إذا علم انه قد جاء من هو من جنس الرجال، ولم يعرف رجل هو أم رجلان"[3].

وقد اشترط **السكاكي** في تقديم النكرة عند إفادة التخصيص عدم وجود مانع يمنع التخصيص، "كما إذا قلت: (رجل جاء)، لصحة أن يراد الجائي رجل لا امرأة أيها السامع دون قولهم: (شرّ أهرّ ذا ناب)، لامتناع أن يُراد: المُهِرُّ لذي ناب شرٌّ لا خير، اللهم إلا إذا حملت التخصيص على وجه آخر، وهو الإفراد على تقدير: رجل جاء لا رجلان، فإنه محملٌ يصار إليه كثيراً عند علماء هذا النوع، وشر أهر ذا ناب لا شرّان لكن بهذا الوجه يكون نابياً عن مظان استعماله، وإذا صرح الأئمة رحمهم الله، بتخصيصه حيث نأوله بـ: ما أهرّ ذا ناب إلاّ شرٌّ، فالوجه تفظيع شأن الشر بتنكيره"[4]، رفض **السكاكي** إذن أن تكون عبارة (أهرّ ذا ناب) شر تفيد التخصيص، لامتناع أن يكون المهر شر لا خير، ولكونه نابياً عن مكان استعماله. والتقديم يفيد عند **السكاكي** تقوية الحكم لا غير كما ذهب ابن جني[5] من قبله.

أما **عبدالقاهر الجرجاني** فذهب من قبل **السكاكي** إلى أن عبارة (شرٌّ أهرّ ذا ناب) تفيد التخصيص لأن التقدير يكون أن الذي أهر ذا ناب هو من جنس الشر لا من جنس الخير [6].

وبهذا العرض لهذه الوظيفة نجد البلاغيين قد تناولوا هذه الوظيفة شرحاً باعتمادهم على علم النحو من حيث الصواب والخطأ في تركيب الجملة، ومن حيث

---

[1] دلائل الإعجاز، ١٠٩.

[2] انظر: نهاية الإيجاز، ٣١٣.

[3] الإيضاح في علوم البلاغة، ٢: ٦٤.

[4] مفتاح العلوم، ٢٢٤.

[5] كما سيأتي في الصفحة رقم (٦٨) من هذا الفصل.

[6] انظر: دلائل الإعجاز، ١١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

استعانتهم بقواعد النحو لإثبات هذه الوظيفة في جملة ما، ومن حيث التأثر بآراء النحاة سابقاً كما فعل السكاكي متأثراً بابن جني.

ثانياً: التنبيه:

يتقدم العنصر الذي من حقه التأخير أحياناً لتنبيه السامع على إنكار أن يصدر الفعل عن الفاعل المقدم؛ للمبالغة في التعظيم، أو للمبالغة في الاستحقار، أوللمبالغة في خساسة الفاعل [1].

فأما الإنكار للمبالغة في التعظيم، فيكون على نحو المثال الآتي: "أهو يسأل فلاناً؟ أي هو أعظم و أرفع قدراً من هذا، أو مثل: "أهو يمنع الناس حقوقهم؟" فالمتكلم ينكر أن يكون الفاعل يمنع الناس حقوقهم، لما هو معهود عنه بأنه يعطي الحقوق لأصحابها. فالإنكار هنا موجه إلى الفاعل لا إلى الفعل، وتقدم الفاعل لبيان اهتمام المتكلم بتنبيه السامع إلى إنكار أن يقوم الفاعل بهذا لرفع شأنه.

أما الإنكار للمبالغة في الاستحقار، فنحو المثال الآتي: "أأنت تمنعني؟ أي كأن المتكلم يريد أن يقول بأن غيرك من يستطيع فعل هذا، لا أنت، لأن الفاعل أقل من أن يقوم بهذا. فالفاعل إذن تقدم في الجملة لتنبيه السامع إلى حقارة الفاعل.

أما الإنكار للمبالغة في الخساسة فنحو المثال الآتي: "أهو يعطي هذا؟" فالمتكلم أراد أن يبلغ السامع بأن الفاعل أقل رغبة في العطاء والكرم مما يظن. فقدم الفاعل (هو) لاهتمامه ببيان خساسة الفاعل، كذلك ينكر على الفاعل بأن يفعل ذلك لما هو معهود له من قصر الهمة والخساسة.

فالإنكار موجه في الأمثلة السابقة إلى أن الفاعل لا يقوم بالفعل المسند إليه الموجه إليه، "فجملة الأمر أن تقديم الاسم يقتضي أنك عمدت بالإنكار إلى ذات من قيل إنه يفعل أو قال هو: إنيّ أفعل. وأردت ما تريده إذا قلت: ليس هو بالذي يفعل، وليس

---

[1] انظر: دلائل الإعجاز: ٩٢. ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ٣٠٣. ونهاية الأرب في فنون الأدب: ٧: ٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثله يفعل، ولا يكون هذا المعنى إذا بدأت بالفعل، فقلت: أتفعل؟ ألا ترى أن المحال أن تزعم أن المعنى في قول الرجل لصاحبه: أتخرج في هذا الوقت؟ أتغرر بنفسك؟ أتمضي في غير الطريق؟ أنه أنكر أن يكون بمثابة من يفعل ذلك وبموضع من يجيء منه ذاك"[1].

ثالثاً: التوكيد:

يتقدم المسند إليه في هذا النمط لأداء وظيفة جديدة، وهي وظيفة التوكيد. وقد صرّح بها من النحويين ابن جني عندما عالج عبارة المثل (شرٌّ أهرَّ ذا ناب)[2]، يقول "ألا ترى أنك لو قلت: (أهرَّ ذا ناب شرّ)، لكنت على طرف من الأخبار غير مؤكد، فإذا قلت: (ما أهرّ ذا ناب إلاّ شر) كان ذلك أوكد، ألا ترى أنّ قولك: (ما قلم إلاّ زيد) أوكد من قولك: (قام زيد)، وإنما احتيج إلى التوكيد في هذا الموضع من حيث كان أمراً عانياً مهماً"[3]. وأول النحويون عبارة (شرٌّ أهرَّ ذا ناب) بعبارة (ما أهرّ ذا ناب إلاّ شر)، ليواكب التركيبُ القاعدةَ التي تمنع الابتداء بنكرة، إذ إن هذا التأويل يجيز للمبتدأ أن يتصدر الجملة وهو نكرة. وفي النتيجة لم يذهب النحاة إلى تقديم النكرة، وتأويل العبارة إلاّ لوظيفة معينة، وهي توكيد أنّ الذي (أهرّ ذا ناب) هو (الشر). وقد وافق السكاكي ابن جني في أن التقديم هنا لا يكون إلا لتقوية الحكم[4].

وقد تعرض **ابن جني** – مهتماً بالمعنى – للتركيب الذي يقابل التركيب ذا الترتيب الثانوي، فوجد أن التركيب ذا الترتيب الأصلي لا يعطي أي دلالة تدل على التوكيد، فما هو إلا تركيب يعطي خبراً اعتيادياً.

كذلك يتقدم المسند إليه على المسند للوظيفة نفسها في سياق استفهامي، ذلك أن السؤال يكون عن العنصر المشكوك فيه، فجملة (أزيد جاء؟) تختلف وظيفة عن جملة

---

[1] دلائل الإعجاز: ٩٢ – ٩٣.

[2] مثل يضرب في ظهور إمارات الشّرّ ومخايلة. انظر: مجمع الأمثال: أحمد بن محمد أحمد بن إبراهيم الميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧، ٢: ١٧٢.

[3] الخصائص: ١: ٣١٩.

[4] انظر: صفحة رقم (٦٦) من هذا الفصل.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(أجاء زيد؟)، إذ إن المتكلم في الجملة الأولى قدّم الاسم الذي من حقه التأخير على الفعل ليؤكد أن سؤاله عن الشخص لا عن الحدث، وأما في الجملة الثانية فالسؤال عن الفعل لا عن الشخص، فالاستفهام لا يكون إلا عن المجهول، كما يقول ابن يعيش، "إنما تستفهم عما تشك فيه وتجهل علمه" [1].

ويتقدم المسند إليه كذلك ليؤكد للسامع أن الفاعل سيحقق له ما وَعَدَ به، فلا يَظنّ به الغلط، إذ "يكون المعنى على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل وتمنعه من الشك، فأنت لذلك تبدأ بذكره، وتوقعه أولاً، ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه لكي تباعده بذلك من الشبهة، وتمنعه من الإنكار، أومن أن يظنّ بك الغلط أو التزيد" [2].

وبالانتقال إلى الدرس البلاغي نجد أنه تناول التراكيب المختلفة الترتيب، التي يتقدم فيها المسند إليه على المسند، فعالجوا الانحراف الذي يحدث بين عناصر الجملة، وأعادوا هذا التبديل بين العناصر إلى وظائف مختلفة، وإلى معان باطنية تكمن خلف التركيب السطحي، إذ إن المتكلم يأتي بالألفاظ أولاً، ثم يرتبها في ذهنه تقديماً وتأخيراً، وفق الموقف الذي يعيشه، فيخرج الشكل السطحي للتركيب الذي هو عبارة عن قالب وهيكل توضع فيه الألفاظ وفق المتطلبات الخارجية، وقد عالج البلاغيون هذه العملية في مؤلفاتهم موضحين أن لكل ترتيب وتنظيم بين الألفاظ وظيفة مقصودة، ومن الوظائف التي تناولوها نتيجة تغير الترتيب بين عناصر الجملة وظيفة التوكيد.

تأتي وظيفة التأكيد عند تقدم المسند إليه على المسند في بعض الأحيان، لتفيد جوانب متعددة منها تنبيه السامع[3]، نحو: (زيدٌ يعطي الجزيل) فالمقصود من تقديم الفاعل (زيد) تأكيد أنه يعطي الجزيل، فالمتكلم ينبه السامع، ويؤكد له أن (زيداً) يعطي الجزيل.

---

[1] شرح المفصل: ١: ٨١

[2] الفعل زمانه وأبنيته: إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة/بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠، ص ٢٠٧.

[3] أنظر: دلائل الإعجاز: ٩٩. ومفتاح العلوم: ٢٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد يقول قائل إنّ الغاية من تقديم المسند إليه في مثل المثال السابق هو تخصيص الفاعل، وحصره بالفعل، وقد يكون هذا صحيحاً في مواقف معينة، إلا أن **الرازي (ت ٦٠٦ هـ)** رفض أن يكون التقديم في مثل هذا النمط للاختصاص، فلا يكون المقصود عنده التخصيص، " بل لأجل أن تقديم ذكر المحدّث عنه بحديث أكد لإثبات ذلك الفعل له، مثل قولهم: (هو يعطي الجزيل) فلا تريد الحصر، بل إن تحقق على السامع أنّ إعطاء الجزيل دأبه، وتمكن هذا الحديث في نفس المستمع، وتقرره عليه" [١].

أما مجيء تقديم الفاعل للتخصيص فيكون إذا قال المتكلم لآخر: (زيد يعطي الجزيل)، وكان الشخص الآخر قد حدّث المتكلم بأنه قد ذهب إلى رجل، وطلب منه، ولم يعطه، وهذا الرجل معه ما يكفيه، فيقول المتكلم حينئذ: (زيد يعطي الجزيل لا أحد غيره)، فهو بهذا التقديم يخصص الفاعل بالفعل، ويحصره به، والمقصود من عبارة (لا أحد غيره) أي الرجل الذي رفض العطاء. ويأتي التوكيد أحياناً لمنع الشك في أنّ الفاعل سيحقق الفعل، "فمما يحسن ذلك فيه، ويكثر الوعد والضمان، كقول الرجل: أنا أعطيك، أنا أكفيك أنا أقوم بهذا الأمر، وذلك أن من شأن من تعده وتضمن له أن يعترضه الشك في تمام الوعد، وفي الوفاء به، فهو من أحوج شيء إلى التأكيد"[٢]، فالتقديم هنا يزيل الشك والخوف من عدم تحقيق الفعل، ويؤكد أن الفاعل سيقوم بالفعل، أما لو قيل: (أقوم بهذا الأمر) لم يكن للتأكيد أي وظيفة هنا، فالتركيب خالٍ من أي وظيفة تمنع السامع من الشك في تحقيق الفعل.

ويتقوى الحكم وتأكيد الفاعل فيما سبق، بالذي يوضحه **المغربي** حيث يقول: "(هو يعطي الجزيل)، بمعنى أن أعطاء الجزيل أمر محقق من المسند إليه، وإنما أفاد مزيد التقرر، لأن المبتدأ طالب للخبر، فإذا ذكر الفعل بعده صرفه لنفسه، فيثبت له. ثم الخبر كان فعلاً ينصرف لضميره المتضمن له، وهو عائد على المبتدأ، فيثبت له مرة أخرى، فصار الكلام بمثابة أن يقال (يعطي زيد الجزيل)، (يعطي زيد الجزيل)" [٣].

---

[١] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ٣٠٨.

[٢] دلائل الإعجاز: ١٠٣.

[٣] مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص)، ١: ٤٠١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويرى **محمد بن علي الجرجاني** كذلك أن التوكيد يأتي من تكرار المسند إليه، فمرة يأتي منفصلاً، ومرة أخرى يأتي متصلاً، إذ إن: "من فوائد تقديم المسند إليه إذا كان المسند ذا ضمير له، أن يقرر الحكم في ذهن السامع، ويؤكده بسبب تكراره سواء كان اسما ظاهراً نحو: زيد ركب، فإنه كرر معناه ظاهراً ومضمراً: مستتراً أو ضميراً لمتكلم نحو: أنا ركبت، كرر متصلاً ومنفصلاً، أو ضمير المخاطب نحو: (أنت ركبت)، كرر متصلاً ومنفصلاً، وكذلك (هو ركب)"[1]. وكما اعتمد البلاغيون على القواعد النحوية في إيضاح وظيفة الاختصاص، فكذلك نجدهم هنا قد استعانوا بالنحو في إعطاء الدليل على وظيفة التوكيد، إذ إنهم تناولوا التركيب فرأوا فيه التكرار الإسنادي كما سبق.

وكذلك يقال في جملة (أنت لا تكذب) إنها شاملة على التوكيد، وعلى التقوي للحكم، لتكرار الإسناد فيها، فالأول: إسناد الجملة الفعلية إلى المبتدأ (أنت)، والثاني: إسناد الفاعل إلى الفعل، وهذا التكرار يؤكد الفاعل في الجملة، أما جملة (لا تكذب) فالإسناد فيها واحد، والمعنى في الوضع الاعتيادي، ولا يشمل على أي معنى من المعاني البليغة.

ومما يرى تقديمه لأجل إفادة تقوية الحكم، وتوكيده لفظاً (مثل)، و(غير)[2]، حيث يستعمل اللفظان على سبيل الكناية في إثبات الحكم نحو: (غيري يفعل ذلك)، و(مثلك لا يفعل ذلك)، على معنى أني لا أفعله فقط من غير إرادة التعريض بشخص آخر، ويرى تقديم هذين اللفظيين كاللازم، "لأن الغرض منهما إثبات الحكم بطريق الكناية التي هي أبلغ والتقديم لإفادة التقوي أعون على ذلك، وليس معنى قوله كاللازم أنه قد يقدم، وقد لا يقدم بل المراد أنه كان مقتضى القياس أن يجوز التأخير لكن لم يرد الاستعمال إلاّ على التقديم" [3].

---

[1] الإشارات والتنبيهات، ٤٩.

[2] انظر: دلائل الإعجاز، ١٠٧. ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ٣١٢. ومفتاح العلوم، ٢٢٤. الإشارات والتنبيهات، ٥٠. والإيضاح في علوم البلاغة، ٢: ٧٠-٧١ .

[3] مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني (ضمن شروح التلخيص، ١: ٤٢٦-٤٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يستلخص مما سبق أن التركيب الذي يبدأ بالاسم يفيد معنى يختلف عن التركيب الذي يبدأ بالفعل، ولا يلجأ إلى تأليف تركيب إسنادي ذي ترتيب ثانوي إلا متى يتطلب الموقف ذلك، "فلكل مقام عندهم مقال يختص به، بعد كمال الإعراب، والإبانة"[1]، وقد تحدث النحويون والبلاغيون في وظيفة التوكيد في هذا النمط، فعالجوها معالجة متشابهة، واستند البلاغيون في إثبات من أين يأتي التوكيد في عبارة ما على قواعد نحوية مختلفة، واستعانوا بالنحو كذلك في تركيب الجملة صواباً وخطأ.

ثانياً – تقديم المفعول به:

يترك المفعول به موقعه الأصلي بعد الفعل والفاعل، فيتقدم على الفعل تارةً، ويتوسط بين الفعل والفاعل تارة أخرى، ولا يؤتى بهذا الترتيب إلا إذا اقتضى الموقف دلالة معينة لا تظهر في الترتيب الأصلي للعناصر.

وينتج عن خروج المفعول به عن موقعه وظائف مختلفة، كما هي الحال عند تقديم الفاعل على الفعل، وقد عالج النحويون الوظائف الناتجة عن ذلك، فتوسعوا في بيان هذه الوظائف في كتبهم، ولم يقتصروا على وظيفة معينة دون واحدة أخرى والوظائف التي عولجت في هذا النمط هي:

أولاً – الاختصاص:

يتقدم المفعول به على الفعل والفاعل، ليفيد معنى جديداً غير المعنى الذي يأتي أثناء وجود العناصر في موقعها الأصلي في الجملة، وقد تنبه **الإسفراييني** (ت ٦٤٨هـ) لوظيفة الاختصاص التي تنجم عن تقديم المفعول به على العامل، فالمفعول به "يتقدم على عامله إذا أريد بها الاختصاص نحو: (زيداً ضربت)، و(بعمرو مررت)، ويلزم ذلك فيما تضمن صدر الكلام"[2]. إذ إن المتكلم عندما يقول: (زيداً ضربت) فإنه يخصّ الضرب بـ(زيد)، لا بأحد غيره، أما عندما يقول: (ضربت زيدا)، فلا يفيد إلا

---

[1] مقدمة ابن خلدون، ٣: ١٢٧٣.

[2] لباب الإعراب، تاج الدين محمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني، تحقيق: بهاء الدين عبد الرحمن، دار الرفاعي، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، ص ٢٩١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأخبار بأن (زيدا) هو الذي وقع عليه الضرب، من غير تعرض امعنى من المعاني البلاغية. كما تمنح هذه الجملة السامع بأن يظن أن الضرب قد وقع على (زيد)، أو(عمرو)، أوغيرهما، فيبقى في حيرة من أمره حتى يثبت المفعول به.

ويتقدم المفعول به كذلك ليفيد القصر، وتخصيص الفعل بالمفعول به، لا بأحد غيره كما في قوله تعالى: (بل الله فاعبد)[1]، "فالأولى أن يقال يفيد القصر كقوله تعالى (بل الله فاعبد) أي لا تعبد إلاّ الله"[2].

كما ذهب **السيوطي** (ت ٩١١هـ) إلى أن تقديم المفعول به في قوله تعالى: (إياك نعبد) تفيد الاختصاص[3].

وبالانتقال إلى البلاغيين نجدهم قد أدركوا هذه الوظيفة، وعالجوها معالجة دقيقة في تراكيب لغوية مختلفة، ينحرف فيها عنصر ما ذو الرتبة الحرة عن موقعه الأصلي إلى موقع آخر، إذ إن الترتيب الجديد الذي يواكب قواعد النحو هو الذي يأتي بهذه الوظيفة، فالبلاغي اختار في كتبه التراكيب اللغوية المنحرفة عن الأصل التي نص عليها النحوي من قبله. ودرس البلاغيون وظيفة الاختصاص بشكل ملحوظ في مؤلفاتهم. إذ إن المفعول به يتقدم على العامل نحو: (زيداً ضربت)، تخصيصاً له بالفعل دون مفعول آخر[4] إذ إن تقديم المفعول به على الفعل يمنع السامع من الشك بأن الضرب قد وقع على شخص آخر غير (زيد)، أما إذا تأخر المفعول به (زيداً)، فإن التخصيص يزول، ولا يلزم للمفعول به وكان السامع بالخيار في إيقاع الفعل على أي مفعول شاء.

وتأتي وظيفة الاختصاص إذا شعر المتكلم أن السامع قد يصل إلى دلالة أخرى يكون الفعل فيها قد وقع على مفعول آخر غير المفعول الحقيقي، فإذا زعم أحدٌ

---

[1] سورة الزمر، الآية: ٣٩.

[2] الكافية في النحو، ٢: ١٦.

[3] همع الهوامع، ٣: ٩.

[4] انظر: مفتاح العلوم: ٢٢٣. والمثل السائر: ٢: ١٧٢. والإشارات والتنبيهات: ٨٥. وكتاب التبيان: ١١٦. والفوائد المشوقة: ١٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"أنك ضربت مثلا غير زيد، فتقول: زيداً ضربت أي: مضروبي زيد، لا غير زيـد"[1]، للرد عليه.

ولا تقال مثل تلك التراكيب إلا بعد وقوع الحدث، وإنكار المفعول به الفعل. "فمساق مثل هذا الكلام عند تحقيق وقوع الفعل، وإنكار تعيين المفعول؛ ولذلك لا يقـال بهذا المعنى: ما زيداً ضربت ولا أحد من الناس، لمناقضـة الأول للثـاني"[2]. إذ إن الجزء الأول من العبارة يعلن عن أن الضرب قد وقع بأحد ما، ولكنه ليس بزيد، أمـا الجزء الثاني فيعلن عن أن الضرب لم يقع على أحد من الناس، وهو بهذا يناقض الجزء الأول.

وتظهر فائدة التخصيص في قوله تعالى: (إياك نعبد، وإياك نستعين)[3] وفي ذلك خلاف، ففريق من ذهب إلى أن المقصود من تقديم المفعول به الضمير المنفصـل في الجملتين (إياك) تخصيص الله بالعبادة لا بأحد غيره، وتخصيصه بالاسـتعانة فـلا يستعان بأحد غيره[4].

وذهب فريق آخر إلى أن التقديم في الآيـة السـابقة لا يكـون تخصيصـا للمفعول به بالفعل وإنما اهتماماً به، وقد تبنى هذا الرأي من النحويين **ابن الحـاجب** (ت ٦٤٦هـ)، إذ إن عبارة (الله أحمد) عنده تسير "على طريقة (إيّاك نعبدُ) تقديماً للأهـم، وما ينقل أنه للحصر لا دليل عليه، والتمسك فيه بمثل، بل (الله فاعبد) ضعيف لأنه قـد جاء (فاعبد الله)"[5].

---

[1] الإشارات والتنبيهات: ٨٥.

[2] المصدر السابق: ٨٥.

[3] سورة الفاتحة، الآية: ٥.

[4] انظر: مفتاح العلوم: ٢٢٣. والإشارات والتنبيهات: ٨٥. والبرهان في علوم القران: ٣: ٢٧٧.

[5] الإيضاح في شرح المفصل: ١: ٤٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وذهب فريق إلى أن تقديم المفعول به (إيّاك) في الآية السابقة (إيّاك نعبـــدُ، وإيّاك نستعين) لا للتخصيص، ولا للاهتمام، وإنما لرعاية تشاكل الآي، وحسن النظم[1]، كما سيأتي.

ثانياً – العناية والاهتمام:

تنبه سيبويه لهذه الوظيفة، في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول بـــه يقول في جملة (ضرب عبد الله زيداً): "نصب (زيداً) لأنه مفعول تعدى إليه فعل الفاعل، فإن قدمت المفعول، وأخرت الفاعل أُجرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلـــك قولـــك: (ضرب زيداً عبد الله)، لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدّما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأوّل منه، وإن كان مؤخراً في اللفظ، فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدمّـــا، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم، ويعنيانهم"[2].

فالاهتمام هنا هو السبب في تقديم المفعول به على الفاعل، فالعرب كـــانوا يقدمون العنصر الذي يهمهم من بين عناصر الجملة الأخرى، ثم يأتون ببقية العنـــاصر متابعة للعنصر المتقدم. ولكل عنصر في الجملة دور يقوم به، والعنصر المتقدم الـــذي من حقه التأخير يبرز دوره بشكل أكبر من العناصر الأخرى، لإتيانه بوظيفة جديدة في الجملة، لم تكن لتأتي لو احتفظ العنصر بموقعه الأصلي، ففي جملة (ضرب زيداً عبـــد الله) توسط فيها المفعول به (زيداً) بين الفعل (ضرب)، والفاعل (عبد الله)، وباعد بيـــن عنصريين من صفتهما أن يتسلسلا ذكراً، وكل ذلك لإبراز أهمية المفعول به.

والاهتمام كذلك هو السبب الذي من أجله يقدم المتكلم المفعول به عند ابـــن جني (ت ٣٩٢هـــ) "فأصل وضع المفعول أن يكون فضله، وبعد الفاعل، كـــ(ضـــرب زيد عمراً)، فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل، فقالوا: (ضرب عمراً زيـــد)،

---

[1] انظر: المثل السائر: ٢: ١٧٣. والطراز: ٢: ٦٦.

[2] الكتاب، ١: ٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فإن زادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبة، فقالوا: (عمراً ضرب زيداً)"[1]. فالمفعول به يتقدم أحياناً على الفاعل وحده، وأحياناً أخرى على الفعل والفاعل معاً، وذلك لأهميته، ولشدة العناية بذكره قبل العناصر الأخرى.

وكذلك ذهب **ابن يعيش** إلى أن المفعول يتقدم للاهتمام به، نحو: (ضرب غلامه زيد)، حيث تقدم المفعول به (غلامه) الحامل لضمير الفاعل عليه[2]، فتقدم الضمير على الاسم العائد إليه، لأهمية ذكر المفعول به.

والاهتمام بالعنصر المتقدم كذلك هو ما نادى به **عبد القاهر الجرجاني** قائلاً: "فاعلم أن الفاعل إذا كان له من الاتصال بالفعل ما وضعنا لم يكن شبهة في أنّ مرتبته أن يقع بعده، نحو: (ضرب عبد الله زيداً)، ويجوز تقديم المفعول به على الفاعل نحو: (ضرب زيداً عبد الله)، وليس بالأصل، وإنما يكون التقديم والتأخير على قدر العناية والاهتمام، وذلك أنك تقول: (أعطى الأميرَ زيدٌ)، فتقديم (الأمير) وإن كان مفعولا، وكان (زيد) فاعلا، لأجل أن العناية بالأمير أكد. ولو قلت: (أعطى زيد الأمير)، كان حسناً جميلاً، فإن قلت: (أعطى زيداً الأميرُ)، فقدمت المفعول الذي أصله التأخير مع أنه غير معتني بشأنه، وأخرت الأمير الذي استحق التقديم من وجهين: أحدهما: العناية، والآخر: أنه فاعل، لم يحسن لأجل أنك تقدّم المفعول من غير اهتمام يوجب ذلك"[3]. فالاهتمام بالعنصر المتقدم واضح في جملة (أعطى الأمير زيد)، ذلك أن المبالغة في تعظيم (الأمير) تنبىء بأهميته، أما الجملة الثانية (أعطى زيداً الأمير)، فلا اهتمام ينبىء بذكر (زيداً) الذي جاء مفعولاً به من حقه التأخير قبل (الأمير)، اللهم إلا إذا قصد المتكلم أن الأمير الذي عهد له بكثرة العطاء قد أعطى (زيداً) لا أحد غيره، فتكون الدلالة حينئذ هي الاختصاص، لا الاهتمام. واقتبس البلاغيون هذه الوظيفة من كتب النحويين، وقد ذكر **عبد القاهر الجرجاني** ذلك[4] وقد يدل هذا على أن علم المعاني ما هو إلا استمرار وتطوير لبعض الظواهر التي ظهرت في علم النحو.

---

[1] المحتسب: عثمان بن جني، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية/مصطفى حلبي، ١٩٥٤، ١: ٦٥.

[2] انظر: شرح المفصل، ١: ٧٥.

[3] المقتصد: ١: ٣٣٠.

[4] انظر: دلائل الإعجاز، ٨٤-٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعند عرضنا إلى ما كتبه البلاغيون نجد أن تقديم المفعول به عندهم يأتي لبيان مدى الاهتمام به، وكأن المتكلم ينتظر سؤالاً، فيجيب ذاكراً العنصر الذي يهمه أولاً، كأن يقول قائل لشخص مُني بهجر حبيبه، ماذا تتمنى؟ فيقول له "وجه الحبيب أتمنى"[1]، إذ إن المفعول به (وجه الحبيب) تقدم على الفعل والفاعل المستتر (أتمنى) للأهمية.

وأجاز **محمد بن علي الجرجاني** أن يكون المفعول به مقدماً للاختصاص، لا للاهتمام[2]، على تقديرك أتمنى على الاختصاص رؤية وجه الحبيب، لا رؤية أحد آخر.

ورفض **الطيبي** أن يكون التقديم في الجملة السابقة للاختصاص فهو عنده للاهتمام لا غير يقول في ذلك: "فإن قيل فهلاّ حملوا قول المجيب عن سؤال سائل: (ما تتمنى وجه الحبيب؟). أتمنى على الاختصاص دون الاهتمام كما يشير إليه الحاتميُّ:

لي حبيب لو قيل ما تتمنى ما تعديتُهُ ولَو بالمنونِ
اشتَهي أن أحُلَّ في كُلِّ جِسْمٍ فأراهُ بِلَحْظِ كُلِّ العُيونِ.

قلت: لأنّ الهجر هنا، والاشتياق إلى وجه الحبيب، وشدة تزايده صيّره كأنه نصبُ عينِه، فاقتضى المقامُ لذلك الاهتمام، وإنّ الشاعر ليس في ذلك المقام كأنّه قدّر السّائل مخطِئاً"[3].

فالسياق الشعري هو الذي حدد أي وظيفة تُقصد من تقديم المفعول به على الفعل، ومثل ذلك قول القائل: (الحريةَ أطلب) فإذا أراد به خبراً للسامع، تكون الوظيفة هي الاهتمام بذكر المفعول به، وإذا قال القائل هذه العبارة لمن ظنّ بأنه يطلب شيئاً آخر تكون الوظيفة هي الاختصاص، أي أراد المتكلم أن يؤكد أنه يخص الحرية بالطلب لا شيئاً آخر.

---

[1] انظر: الإشارات والتنبيهات: ٨٥. وكتاب التبيان: ١١٦.

[2] الإشارات والتنبيهات: ٨٥.

[3] كتاب التبيان، ١١٦ – ١١٧.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وتأتي وظيفة الاهتمام لإنكاره بأن يكون المفعول به موضع أن يجترأ عليه، "فإذا قلت: (أزيداً تضرب؟) كنت قد أنكرت أن يكون (زيد) بمثابة أن يضرب أو بموضع أن يجترأ عليه، ويستجاز ذلك فيه"[1].

ثالثاً – التنبيه:

يلجأ المتكلم أحياناً إلى تقديم المفعول به، لينبه السامع إليه، ويظهر هذا واضحاً في سياق استفهامي، ذلك أن الاستفهام يدخل تارة على الفعل وتارة على الاسم، فإذا خرج هذا الترتيب عن أصله، فتقدم الاسم على الفعل نحو: "أزيداً ضربت؟" فإن المتكلم قصد هنا أن ينبه السامع على أن المشكوك فيه هو المفعول به لا الفعل.

وقد أشار **سيبويه** إلى هذا الأمر، فقال: "تقول: (ألقيت زيداً أوعمراً أوخالداً؟)، و(أعندك زيد أوخالد أوعمرو) كأنك قلت أعندك أحدٌ من هؤلاء، وذلك أنك لم تدّعِ أنّ أحداً منهم ثمّ ألا ترى أنه إذا أجابك قال: لا، كما يقول إذا قلت: أعندك أحدٌ من هؤلاء"[2].

ويتابع سيبويه قائلاً: "وأعلم أنك إذا أردت هذا المعنى فتأخير الاسم أحسن، لأنك إنما تسأل عن الفعل بمن وقع. ولو قلت: أزيداً لقيت أوعمراً أوخالداً، وأزيد عندك أوعمروٌ أوخالدٌ، كان هذا في الجواز والحُسْن بمنزلة تأخير الاسم إذا أردت معنى أيهما"[3] فالمفعول به تقدم ليفصل بين همزة الاستفهام والفعل لينبه السامع إلى أن المشكوك فيه هو الاسم. ولم يذكر البلاغيون هذه الوظيفة في هذا النمط من التقديم، وإنما ذكروه في أنماط أخرى غير هذا.

رابعاً – رعاية حسن النظم:

يتقدم المفعول به أحياناً لا لوظيفة معنوية، بل لوظيفة لفظية. وقد نصّ النحاة أحياناً على أن تقديم المفعول به لا يكون إلا لاتساع في الكلام دون شيء آخر،

---

[1] دلائل الإعجاز، ٩٥.

[2] الكتاب، ٣: ١٧٩.

[3] المصدر السابق، ٣: ١٧٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"فإن قلت: أليس ذكر الفاعل قبل المفعول مفيداً، إنّ ذكر المفعول ليس بأهم، ولو ذكرت المفعول قبل الفاعل أفاد أن ذكر المفعول أهم قلت: تقديم المفعول على الفاعل لا يفيد ذلك بل قد يكون ذلك لاتساع الكلام"[1].

ويتقدم المفعول به على الفعل لأجل رعاية الموسيقا[2] أحياناً كما في قوله تعالى: "إيّاك نعبد وإيّاك نستعين"[3]، وكما في قوله تعالى أيضاً: "وأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر"[4]، فالمفعول به في الآية الأولى (إيّاك) تقدم على الفعل، وتأخر الفعل (نعبد، ونستعين) للإنسجام مع بقية رؤوس الآيات الأخرى في السورة. وكذلك تجري الآية الثانية.

وبالانتقال إلى الحقل البلاغي نجد **عبد القاهر الجرجاني** قد رفض أن يكون التقديم لغاية شكلية حيناً، ولغاية معنوية حيناً آخر، قال: "واعلم أن من الخطأ أن يُقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين فيجعل مفيداً في بعض الكلام، وغير مفيد في بعض، وأن يعلل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب حتى تطرد لهذا قوافيه، ولذاك سجعه، ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة، ولا يدل أخرى"[5]، ومع هذا التصريح نجد **ابن الأثير** قد خرج عن النظام الذي أقرّه **الجرجاني** فيرى أن في "قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) لم يتقدم المفعول على الفعل للاختصاص، وإنما قدّم لمكان نظم الكلام، لأنه لو قال: (نعبدك، ونستعينك) لم يكن له من الحسن ما لقوله: (إياك نعبد، وإياك نستعين)"[6].

وذهب **العلوي** إلى أن في الآية السابقة (إياك نعبد، وإياك نستعين) مذهبين: الأول – يتقدم فيه المفعول به لإفادة الاختصاص، والثاني – يتقدم لإفادة الشكل أي من أجل مراعاة حسن الانتظام يقول: "إنما قُدِّم من أجل المشاكلة لرؤوس الآي، ومراعاة

---

[1] الكافية في النحو، ٢: ١٦.

[2] انظر: من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٧٥، ص ٣٣٣.

[3] سورة الفاتحة، الآية: ٥.

[4] سورة الضحى، الآية: ٩ –١٠.

[5] دلائل الإعجاز: ٨٦.

[6] المثل السائر: ٢: ١٧٣-١٧٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حسن الانتظام، واتفاق أعجاز الكلم السجعية، لأن قبله (مالك يوم الدين) فلو قال (نعبدك، ونستعينك)، لذهبت تلك الطلاوة، ولزالت تلك العذوبة، وهذا شيء يحكى عن بعض علماء البيان، واختاره ابن الأثير، والمختار عندنا أنه لا منافاة بين الأمرين فيجوز أن يكون التقديم مراعاة لجانب اللفظ والمعنى جميعاً، فالاختصاص أمرٌ معنويٌ، والتشاكل أمرٌ لفظي"[1].

ومثل الآية السابقة قوله تعالى: "فأوجس في نفسه خيفةً موسى"[2]، إذ قدّم "المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول به، وبحرف الجر قصداً لتحسين النظم"[3].

وبعد هذا العرض لوظائف تقديم المفعول به يستنتج أن النحويين والبلاغيين اشتركوا في ذكر بعض الوظائف،فلم تكن محصورة عند أهل المعاني، "بل سبقهم في الإشارة إلى بعضها النحاة الذين بدأ تأثيرهم واضحاً في البلاغيين فيما كتبوه في هذا الصدد، إذ كثيراً ما يشيرون إلى آرائهم فيه، ولعلّ ذلك راجع في نظرنا إلى كون هذه الظاهرة من الظواهر التي تتداخل فيها الدراسات النحوية مع الدراسات البلاغية" [4].

ثالثاً – تقديم الحال:

تتقدم الحال على صاحبها، لتنتج وظيفة جديدة، لم تكن لتظهر إذا احتفظت برتبتها بعد صاحبها، وقد اتفق كثير من البلاغيين على أن الوظيفة التي تنتج عن تقديم الحال على صاحبها هي دلالة الاختصاص، فصاحب الحال يختص بها دون غيرها[5]، نحو: (جاء راكباً زيداً)، إذ إن (زيداً) يختص بأنه راكب، لا ضاحك، ولا ماشٍ. يقول **العلوي** في هذه الوظيفة: "فإنك إذا قدمته فقلت: جاء ضاحكاً زيداً فإنه يفيد أنه جاء على هذه الصفة مختصاً بها من غيرها من سائر صفاته بخلاف ما لو قلت: جاء زيد راكباً،

---

[1] الطراز: ٢: ٦٧.

[2] سورة طه، الآية: ٦٧.

[3] المثل السائر، ٢: ١٧٤.

[4] الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع/بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، ص ١١٢-١١٣.

[5] انظر: المثل السائر: ٢: ١٧٩. والجامع الكبير: ١١٢. وكتاب التبيان: ١٢٢. والطراز: ٢: ٧٢-٧٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فإنه كما يجوز أن تجيء على هذه الصفة، فإنه يجوز مجيئه على غيرها من الصفات فافترقا"[1].

أما **ابن القيم الجوزية** فذهب إلى أن الحال إذا تقدمت أوتأخرت، فإن المعنى واحد لا يتغير، يقول في ذلك: "فإنه كقولك: (جاء راكباً زيدا)، ويؤخر كقولك (جاء زيد راكباً)، وهما سواء"[2].

رابعاً – تقديم المستثنى:

يخرج التقديم والتأخير في بنية الاستثناء إلى وظيفتين، الأولى وظيفة الاختصاص، وذلك عندما يتقدم المستثنى على المستثنى منه، نحو: (ما قام إلا زيداً أحد)، إذ إن تقديم العنصر هنا يفيد الاختصاص على أن (زيداً) هو الذي قام لا أحد غيره[3].

وأما الوظيفة الثانية فهي الحصر، ذلك أن أداة الاستثناء هي التي تجلب الفائدة، لا تقديم المستثنى، فمثلاً عبارة (ما ضربت إلاّ زيداً أحداً)، "فإنك إذا قدمته فإنه يفيد الحصر، وأنه لا مضروب لك سواه، وهكذا لو قلت: (ما ضربت أحداً إلا زيداً) فالصورتان دالتان على الحصر لما كان الاستثناء متصلاً بالمفعول بخلاف قولك: (ضربت زيداً)، فإنه غير مفيد للحصر، فكما يجوز أن تضربه يجوز أن تكون ضارباً لغيره، وهكذا القول في غيره من المسائل فإنها تختلف حالها باختلاف التقديم والتأخير"[4]. فرق **العلوي** بين تركيب استثنائي يتضمن أداة استثناء، وبين تركيب خال من أداة استثناء، فكان التركيب الأول يفيد الاختصاص والحصر، والثاني لا يفيد ذلك، بل يعطي خبراً لا غير.

---

[1] الطراز: ٢: ٧٢-٧٣.

[2] الفوائد المشوقة إلى علوم القران وعلم البيان: ١٢٧.

[3] انظر: الجامع الكبير: ١١٢.

[4] الطراز: ٢: ٧٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ويرى **ابن القيم** (ت ٧٥١هـ) أن التقديم والتأخير في الاستثناء سواء، فجملة (ما قام إلا زيداً أحد)، تكافئ معنىً جملة (ما قام أحد إلاّ زيداً)"[١].

خامساً – الجار والمجرور:

يتقدم الجار والمجرور على متعلقة جوازاً، فيتصدر الجملة. ويتبع هذا التغير في الرتبة تغير في المعنى، فينتج وظائف هي:

أولاً – الاختصاص:

يتقدم الجار والمجرور، فيتصدر الجملة الفعلية، ليفيد الاختصاص نحو: (بزيد مررت)، إذ إن المتكلم أراد أن يقول: (ما مررت إلا بزيد)[٢]، ونحو قوله تعالى: (ألا إلى الله تصير الأمور)[٣]، إذ إن "المعنى أن الله تعالى مختص بصيرورة الأمور إليه دون غيره"[٤].

وتأتي فائدة الاختصاص إذا تقدم الجار والمجرور على الفعل في سياق منفي نحو: (ما بهذا أمرتك)، إذ إن المتكلم أراد أن يقول: ما أمرتك بهذا وإنما أمرتك بشيء آخر، فتقدّم ليخصه بعدم الأمر به[٥].

---

[١] الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان: ١٢٧.

[٢] الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: ٨٥.

[٣] سورة الشورى: الآية ٤٢.

[٤] الطراز: ٢: ٧١. وانظر: مفتاح العلوم: ٢٣٤. والإشارات والتنبيهات: ٨٥. والبرهان في علوم القرآن: ٣: ٢٧٧.

[٥] انظر: دلائل الإعجاز: ٩٨. ونهاية الإيجاز: ٣٠٧. ونهاية الأرب في فنون الأدب: ٧: ٦٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانياً – الأهمية:

يتقدم الجار والمجرور في بعض الأحيان؛ لأهميته، ولفت الخاطر إليه، ولأهمية إنكاره نحو قوله تعالى: (وجعلوا لله شركاء)[1]، حيث تقدم الجار والمجرور (لله) على المفعول به (شركاء)، لأهمية توجيه الإنكار إلى الجعل لله، لا إلى مطلق الجعل[2].

ومثل ذلك يُقال في جملة يتقدم فيها الجار والمجرور على الفعل نحو: (إلى السوق ذهب محمد)، لمن يعلم أن (محمداً) عزم على أن لا يذهب إلى ذلك المكان، فقدم هنا لأهمية ذكر المكان الذي ذهب إليه (محمد). أما إذا قيلت الجملة، دون ورود سياق معها، أو إشارات لفهمها جيداً، فقد يقول قائل: إن المتكلم أراد التخصيص بأن (محمداً) ذهب (إلى السوق)، لا إلى مكان آخر، وفي هذا نظر.

ثالثاً – رعاية حسن النظم:

يجري التقديم في هذا النمط أحياناً لا للاختصاص، ولا للاهتمام، وإنما لمراعاة الحُسن في نظم الكلام نحو قوله تعالى: (عليه توكلت، وإليه أنيب)[3]. يقول **العلوي** في ذلك: "فهذا، وأمثاله إنما قُدم ليس من جهة الاختصاص، وإنما كان من أجل ما ذكرناه من المطابقة اللفظية في تناسب الآية، وتشاكلها"[4]. وكذلك قوله تعالى: (فأوجس في نفسه خيفةً موسى)[5]، حيث قدم الجار والمجرور (في نفسه) على الفاعل، وفصل بين الفعل (أوجس)، وبين الفاعل (موسى). "ولو أخر (في نفسه) عن (موسى)، فات تناسب الفواصل، لأن قبله: (يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى)، و(بعده إنك أنت الأعلى)"[6].

---

[1] سورة الأنعام، الآية: ١٠٠.

[2] انظر: البرهان في علوم القران، ٣: ٢٧٦.

[3] سورة هود، الآية: ٨٨.

[4] الطراز: ٢: ٧١. وانظر: المثل السائر، ٢: ١٧٨.

[5] سورة طه، الآية: ٦٧.

[6] البرهان في علوم القران، ٣: ٢٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبعد عرض الوظائف النحوية والبلاغية في الجملة الفعلية وتعرف الوظائف المشتركة بين العلمين، والوظائف الجديدة التي ظهرت عند البلاغيين، ننتقل إلى الوظائف الواردة في الجملة الاسمية.

ثانياً – الوظائف الدلالية في الجملة الاسمية:

أولاً– تقديم الخبر:

يخرج الخبر عن موقعه الأصلي، ويتقدم على المبتدأ، ولا يكون هذا التقديم عبثاً، بل يلجأ إليه المتكلم إذا قصد معنى محدداً دون غيره، ولا يأتي إلا به، ذلك أن المعنى هو الذي يتحكم بتقديم عنصر ما وفي اختيار الصياغة التركيبية المناسبة له في الجملة، ولدى عرضي للدراسات النحوية والبلاغية وجدت أنها تشير إلى عدد من الوظائف هي: الاختصاص، والعناية والاهتمام، والتأكيد، والتفاؤل، والتشويق، ورعاية حسن النظم. أتحدث عن كل واحدة على حدة، فأبدأ بوظيفة الاختصاص.

أولاً – الاختصاص:

يقصد بالاختصاص هنا أن ينفرد المسند إليه، وأن يختص بصفة دون غيرها، وقد تنبه النحويون لهذه الوظيفة، ولاحظوا الفرق بين التركيب الأساسي الذي يوضع فيه المسند والمسند إليه في موقعيهما الأصليين، والتركيب الثانوي الذي يتقدم فيه المسند على المسند إليه.

ونأخذ من الأمثلة على ذلك المثال الآتي: (زيد قائم)، حيث إن التركيب الإسنادي هنا يتكون من المبتدأ (زيد)، ومن الخبر(قائم)، وكلا العنصرين في موقعيهما الثابتين لهما، وبهذا الترتيب يقع في نفس السامع أن (زيداً) قد يتصف بصفات أخرى غير صفة (قائم)، بأن يكون مثلا قاعداً، أوجالساً، أونائماً. أما إذا عدل التركيب عن ترتيب عناصره الأصلي، نحو (قائم زيد) بتقديم الخبر (قائم) الذي يحمل ضمير المبتدأ العائد عليه، تذهب هذه الاحتمالات، ويختص بصفة واحدة دون غيرها، يقول ابن

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحاجب في ذلك: "إذا قال: (زيد قائم)، تعلق بنفس السامع احتمالات شتى من أنه قائم، أو قاعد إلى ما لا تحصى كثرة، فإذا تقدم الخبر ارتفع هذا الإشكال" [1].

ويتقدم الخبر بصورة أخرى تختلف عن الصورة السابقة، بأن يكون شبه جملة، والمبتدأ نكرة، للغاية نفسها، نحو: (في الدار زيد)، حيث تقدم الخبر الذي من حقه التأخير (في الدار) على المبتدأ العلم (زيد)، لغرض التخصيص، أي بأن (زيداً) في الدار لا أحد غيره. ويعلل **الأهدل** جواز تقديم الخبر، هنا قائلاً: "فقد يتقدم تقدماً جوازاً، أي جائزاً، وإلا فالأصل فيه أن يكون مؤخراً عن المبتدأ، لأنه إنما يؤتي به لبيان حال المبتدأ، والدال على حال الذات متأخر عنها طبعاً نحو (في الدار زيد)، وإنما قدم على خلاف الأصل، لغرض التخصيص، لأن غرض المتكلم الإخبار بأنه ليس في الدار غيره" [2].

لا بُدَّ إذن لتجسيد الفكرة المقصودة، والمعنى المراد من اختيار الصياغة التركيبية التي يتقدم فيها الخبر على المبتدأ، كما أن تقديم المسند لا ينتج وظيفة واحدة في جميع الجمل، بل وظائف متعددة.

وعالج البلاغيون هذه الوظيفة في هذا النمط كذلك، وتناولوا صوراً مختلفة، كأن يتقدم الخبر الحامل لضمير المبتدأ عليه، وكأن يتقدم الخبر الذي يأتي بصورة شبه جملة على المبتدأ، وغيرها من الصور.

تأتي وظيفة الاختصاص عندما يتقدم المسند الحامل لضمير المسند إليه عليه، نحو: (قائم زيد)، حيث تقدم الخبر (قائم) على المبتدأ (زيد)، ليخص (زيد) بصفة القيام دون صفة أخرى، كالقعود، والجلوس[3]. أما إذا قلت: (زيد قائم)"، فأنت بالخيار في إثبات القيام له، ونفيه عنه، بأن تقول: ضارب، أوجالس، أوغير ذلك"[4]. لذلك إذا

---

[1] الإيضاح في شرح المفصل: ١: ١٩٠.

[2] الكواكب الدرية: ١: ٩٤.

[3] انظر: مفتاح العلوم: ٢١٩. والجامع الكبير: ١٠٩-١١٠.

[4] المثل السائر: ٢: ١٧٢. وانظر الطراز: ٢: ٦٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أردت وظيفة جديدة هنا، لا بُدَّ من التقديم، إذ إن هذه الوظيفة لا تأتي من تأخير"، فإنك إذا أخرت الخبر فليس فيه إلا الإخبار بأن زيداً قائم لا غير من غير تعرض لمعنى من المعاني البليغة، بخلاف ما إذا قدمته وقلت: قائم زيد"[1].

ويتقدم الخبر بصورة الجار والمجرور على المبتدأ المعرفة لإفادة التخصيص أيضاً[2]، نحو قوله تعالى: (يسبح لله ما في السموات، وما في الأرض له الملك، وله الحمد)[3]، حيث تقدم الخبر شبه الجملة (له) في جملة (له الملك) على المبتدأ (الملك)، وكذلك في جملة (له الحمد)، إذ إن (الحمد) مختص بالله لا بغيره، يقول **ابن الأثير** (ت ٦٧٣هـ) في ذلك: "فإنه إنما قدم الظرفين ها هنا في قوله (له الملك)، و(له الحمد)، ليدل بتقديمهما على اختصاص (الملك)، و(الحمد) بالله، لا بغيره"[4].

ومن بديع التقديم، ومن غامضه، كما يقول البلاغيون[5]، في هذا الجانب، قوله تعالى: (واقترب الوعد الحقُّ، فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا)[6]. فإنما قُدِّم الضمير (هي) على المبتدأ (أبصار)، ولم يقل: "أبصار الذين كفروا شاخصة" بالاستغناء عن الضمير لأمرين: "أما الأول فلو قال: (فإذا أبصارُ الذين كفروا شاخصة) لجاز أن يضع موضع "شاخصة" غيره، فيقول "حائرة"، أو(مطموسة)، أوغير ذلك، فلما قدم الضمير اختص بالشخوص بالأبصار دون غيرها"[7]، فالسامع قد يخطر بباله صفات أخرى غير الصفة الموجودة (شاخصة)، أما قوله: "فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا" لم يعد هناك أي احتمال، لذكر الصفة أولاً. وأما الآخر "فإنه لما أراد أن الشخوص خاص بهم دون غيرهم دلَّ عليه بتقديم الضمير أولاً، ثم بصاحبه ثانياً، كأنه

---

[1] الطراز: ٢: ٦٨.

[2] انظر: مفتاح العلوم: ٢١٩.

[3] سورة التغابن، الآية: ١.

[4] المثل السائر: ٢: ١٧٨. وانظر: الفوائد المشوقة إلى علوم القران وعلم البيان: ١٢٥.

[5] انظر: المثل السائر: ٢: ١٧٦. والطراز: ٢: ٦٩.

[6] سورة الأنبياء، الآية ٩٧.

[7] المثل السائر: ٢: ١٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قال: "فإذا هم شاخصون" دون غيرهم، ولولا أنه أراد هذين الأمرين المشار إليهما لقال: (فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة، لأنه أخصر بحذف الضمير من الكلام"[1].

كلٌ هذه الأسرار البلاغية لم تكن لتأتي لو كان التركيب، يحمل ترتيباً أصلياً بين عناصره.

ثانياً – العناية والاهتمام:

يتقدم المسند على المسند إليه في التركيب الإسنادي في بعض الأحيان، لإبراز أهميته، ولبيان فائدته. إذ إن المتكلم يتطلع إلى أن يعلن في مطلع الجملة عن العنصر الذي به يهتم، فيقول مثلاً: (تميميّ أنا)، و(سواء عليّ أقمت أم قعدت)، أي قيامك، وقعودك، و(مررت برجل سواء هو والعدم) إذا رفع سواء. وفي المثل (مكرهٌ أخوك لا بطل)"[2].

وتأتي العناية، والاهتمام بالعنصر المتقدم في الأمثلة السابقة، للمبالغة في التعظيم، أو للمبالغة في الاستحقار، فالأول نحو: (تميميّ أنا)، حيث تقدم الخبر النكرة (تميميّ) على المبتدأ المعرفة (أنا)، ليُظهر عظمة القبيلة التي ينتمي إليها. والثاني نحو (سواء عليّ أقمت أم قعدت)، حيث تقدم الخبر النكرة (سواء) على المبتدأ (قيامك) المصدر المؤول من همزة التسوية، والفعل أقمت ليبين مدى المبالغة في استحقاره. فقيامه وقعوده سواء، فهو يقلل من شأنه ويصغر من قدرته، فيحقره.

وتناول البلاغي هذه الوظيفة أيضاً معلناً أن تقديم المبتدأ على الخبر يأتي أحياناً للاهتمام بالصفة المتقدمة. ويظهر ذلك في قوله تعالى: "(قال: أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم)[3]، حيث تقدم الخبر (راغب) على المبتدأ (أنت) في جملة (أراغب أنت) في سياق استفهامي، وهذا التقديم نتج عنه وظيفة جديدة لم تكن لتأتي لو كانت الجملة (أأنت راغب)، إذ إن الجملة الأولى تعلن عن معرفة رغبة إبراهيم عن الآلهة،

---

[1] المصدر السابق: ٢: ١٧٧. وانظر: الطراز: ٢: ٦٩. والبرهان في علوم القرآن: ٣: ٣٢٠.

[2] لباب الإعراب: ٢٥٣.

[3] سورة مريم: الآية ٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالاهتمام منصب على معرفة الحدث، أما في الجملة الثانية فالاهتمام بالمسند يزول لتأخره وعودته إلى ترتيبه الأصلي"[1].

وذهب **الزركشي** إلى أن تقديم الخبر في الآية السابقة، في جملة (أراغب أنت) يفيد الاختصاص[2]، لا الاهتمام، حيث خُصَّ إبراهيم عليه السلام بأنه راغب عن الآلهة، لا كاره لها، أو رافض لها. وبتقديم هذه الصفة زالت بقية الاحتمالات.

والفرق واضح بين أن يقال مثلاً (أراغب زيد في النجاح)، وبين (أزيد راغب في النجاح)، حيث إن الاهتمام في الجملة الأولى يدور حول معرفة مدى رغبة زيد في النجاح، وأما في الجملة الثانية فإن الاهتمام يقع على زيد، ويأتي الاهتمام بزيد هنا مبالغة في التصغير من شأنه، وكأنه يقال "أزيدٌ الذي لا يدرس يرغب في النجاح". وقد يأتي الاهتمام للمبالغة في التعظيم، وكأنه يقال: "أزيد المجدُّ يرغب في النجاح، وهو له". وهذا بالطبع لا يميزه إلا وجود سياق تام.

ثالثاً – التأكيد:

يتقدم الخبر على المبتدأ لغاية جديدة، هي التأكيد، إذ يكشف هذا التقديم عن أن الخبر هو محط الفائدة، والعناية، فقدّم لتأكيده في قول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهُنَّ أبناء الرجال الأباعد[3].

"إن المبتدأ والخبر إذا تساويا تعريفاً، وتخصيصاً يجوز تأخير المبتدأ إذا كان هناك قرينة معنوية على تعيين المبتدأ، فإنه قدم الخبر هنا على المبتدأ، لوجود قرينة من حيث المعنى، فإنك عرفت أن الخبر هو محط الفائدة، فما يكون فيه التشبيه الذي تذكر

---

[1] انظر: المثل السائر: ٢: ١٧٦. والطراز: ٢: ٦٩.

[2] انظر: البرهان في علوم القرآن: ٣: ٢٧٧.

[3] البيت منسوب للفرزدق، انظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، أميل يعقوب، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ٢: ٤٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجملة لأجله فهو الخبر، وهو قوله بنونا، إذ المعنى: أن بني أبنائنا مثل بنينا، لا أن بنينا مثل بني أبنائنا"[1]. ولتأكيد هذا الخبر قدّم الشاعر المسند وآخر المسند إليه.

وتنبه البلاغيون لهذه الوظيفة من خلال الشواهد التي تناولوها، ومن تلك الأمثلة قوله تعالى: (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله)[2]، حيث تقدم الخبر الذي جاء بصيغة اسم فاعل (مانع) على المبتدأ (حصون)، ليؤكد مناعة حصونهم لهم[3].

ويتقدم الخبر للغاية نفسها إذا كان معرفة، كما هو الحال عند النحويين، وينبه هذا التقديم على أن العنصر المتقدم هو محط الفائدة، **فعبد القاهر الجرجاني** يرى في قول أبي تمام:

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه وأرى الجني اشتارته أيد عواسل[4]

أن (لعاب الأفاعي) الخبر قد تقدم على المبتدأ (لعابه)، ولا يجوز أن يكون الاسم الأول هو المبتدأ، والثاني هو الخبر، إذ إن هذا الترتيب يفسد المعنى[5]. ولجأ الشاعر إلى هذا الترتيب ليؤكد أن (لعابه) تشبه (لعاب الأفاعي)، وليؤكد لزوم هذه الصفة للموصوف.

وقد يأتي التوكيد لبيان عظمة الموصوف، وقد يأتي لبيان خساسة الموصوف، ولاستحقاره، كقول القائل مثلاً (جسومهم جسوم البغال)، فهذا الترتيب على أصله "المبتدأ أولاً، ثم الخبر ثانياً"، ولكن إن بدلت رتبة الخبر، فتقدم على المبتدأ، نحو: (جسوم البغال جسومهم) لكانت الوظيفة هنا تأكيد المبالغة في احتقار القوم المقصودين، والتصغير من شأنهم، وإهانتهم، ولكن الشاعر ترك للسامع أن يرد صفة أخرى غير هذه، وأن يضع احتمالات أخرى.

---

[1] خزانه الأدب ولب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٧٩، ١: ٤٤٤.

[2] سورة الحشر، الآية: ٢.

[3] انظر: المثل السائر: ٢: ١٧٦. والبرهان في علوم القرآن: ٣: ٣١٩.

[4] ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعرف/مصرن الطبعة الثالثة، ٣: ١٢٣.

[5] انظر: دلائل الإعجاز: ٢٨٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رابعاً – التفاؤل والتشويق:

يتقدم المسند في بعض الأحيان، ليكون المراد من ذلك نوعاً من التفاؤل، نحو (سعد في دارك) حيث تقدم المسند المبتدأ (سعد) النكرة، الذي من حقه التأخير، لتعجيل المسرة، لكونه صالحاً للتفاؤل. ونحو (السفاح في دار صديقك)، حيث تقدم (السفاح) المبتدأ (المعرفة) على الخبر الجار والمجرور (في دار)، وهذا أصل لكونه صالحاً للتشاؤم[1].

ويتقدم كذلك إذا كان "المراد بتقديمه نوع تشويق إلى ذكر المسند كقوله:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحق، والقمر"[2]

حيث تقدم المسند (ثلاثة) على المسند إليه (شمس الضحى) و(أبو اسحق) و(القمر)، للتشويق في الذكر، لأن السامع ينتظر ليعرف من الثلاثة الذين تشرق الدنيا ببهجتها فعنصر التشويق واضح هنا.

خامساً – رعاية حسن النظم:

يتقدم المسند أحياناً، لفائدة لفظية يقصد منها تحسين نظم الكلام، وذلك نحو قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة)[3]، إذ إن المسند هنا (إلى ربها) تقدم على المسند إليه (ناظرة)، يقول **ابن الأثير** : "وإنما قُدم من أجل نظم الكلام، لأن قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة) أحسن من أن لو قيل: (وجوه يومئذ ناضرة، ناظرة إلى ربها)، والفرق بين النظمين ظاهر"[4].

---

[1] انظر: مفتاح العلوم، ٢٢٠. والإيضاح في علوم البلاغة، ٢: ٥١. والمصباح في المعاني والبيان والبديع، ٢٦.

[2] مفتاح العلوم، ٢٢١.

[3] سورة القيامة، الآية: ٢٣، ٢٤.

[4] المثل السائر، ٢: ١٧٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويقول **العلوي** في ذلك: أن التقديم كان "من أجل مراعاة المشاكلة لـــرؤوس الآي في التسجيع، وهذا كقوله تعالى: (وجوه يومئذ ناظرة، إلى ربها ناظرة)، ليطـــابق قوله "باسرة، وفاقرة"[1].

وبعد هذا العرض نستنتج أن الوظائف المشتركة في الجملة الاسمية التـــي نتجت عن هذا النمط بين النحويين والبلاغيين هي الاختصاص، والاهتمام، والتوكيـــد، وانفرد البلاغيون بوظيفتي التفاؤل والتشويق، ورعاية حسن النظم.

وبعد هذا العرض الطويل لوظيفة التقديم والتأخير بين النحويين والبلاغيين، نجد أن النحويين هم أول من تعرضوا إلى الإشارة إلى الوظائف في كتبـــهم، فســـيبويه مثلاً أشار إلى وظيفة العناية والاهتمام، إذ إن العرب عنده لا يلجؤون إلى الانحـــراف عن الأصل إلا لأجل معنى مقصود. وكذلك أشار ابن جني إلى هذه الوظيفـــة، وإلـــى وظيفة التوكيد، وقارن بين التركيب ذي الترتيب الأصلي بين عناصره، والـــتركيب ذي الترتيب الثانوي بين عناصره، ثم جاء البلاغيون، فذكـــروا الوظـــائف التـــي ذكرهـــا النحويون وزادوا عليها عدداً آخر من الوظائف، استخرجت من تتبع تقديم عنصر ما في جملة ما في نص سياقي.

وظهور الوظائف الناتجة عن تقديم أحد العناصر في كتب النحاة يدل علـــى أن علم النحو اهتم بعلم المعاني، وما علم المعاني إلا فرع من فروع علم النحو، وأمـــا العلم الذي ظهر فيما بعد على يد **عبد القاهر الجرجاني** ما هو إلاّ اســـتمرار وتطويـــر لأحد العلوم التي تولدت من علم النحو.

من هنا كان لا بد من النهوض بهذين العلمين صلةً وارتباطاً، ولا بد كذلـــك من إعادة الصلة بينهما، وذلك أن يعود علم المعاني الذي اصبح علماً مستقلاً بذاته إلـــى مهده الأول.

---

[1] الطراز، ٢: ٧١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثالث

الأبنية الأسلوبية للتقديم والتأخير ووظائفها عند الشعراء الهذليين

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تتميز قبيلة هذيل بكثرة شعرائها، وقد وصل إلينا شعرهم في ديوان كبير طُبع في دار الكتب المصرية، وهو ينقسم على ثلاثة أقسام. يشتمل القسم الأول على شعر شاعرين هما: أبو ذؤيب، وساعده بن جؤية. وقد احتلّ شعر أبي ذؤيب أكبر مساحة في الديوان، ويشتمل القسم الثاني على عدد من الشواء، أشهرهم: المتنخل، وأبو خراش، وأبو كبير، ويشتمل القسم الثالث كذلك على عدد آخر من الشعراء، أمثال: مالك بن خالد الخناعي، وأبو بثينة، وحذيفة بن أنس.

وتمتعت أساليب الهذليين بالقوة والرصانة، لتعبيرها عن المعنى بشكل دقيق، إذ إن الشاعر الهذلي كان يحسن اختيار التراكيب الملائمة لمناسبة القصيدة التي يعيشها، مراعياً في اختياره صحة القواعد النحوية التي تجيز له بإخراج نظم الجملة عن نطاقها المعهود.

أتناول في هذا الفصل ديوان الهذليين مستخرجاً منه أنماط التقديم والتأخير فأدرسها بنية، وأتعرف الصور المتعددة التي نتجت عن النمط الواحد. ثم أعرض للوظائف التي أنتجتها هذه الأنماط وذلك عن طريق مناقشة التراكيب اللغوية التي ظهر فيها تقديم عنصر ما، وتأخير عنصر آخر. وقد توزعت هذه الأنماط بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية، وأعرض أولاً لأنماط التقديم والتأخير في الجملة الفعلية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجملة الفعلية:

أولاً- تقديم الفاعل:

الأصل في ترتيب عناصر الجملة الأساسية أن يذكر الفعل أولاً، فالفاعل ثانياً، تبعاً للاهتمام بالحدث والفعل، ولتركيز الذهن على هذا الحدث أكثر ممن قام به. إلا أن ظروف النص قد تقتضي في بعض الأحيان بأن يتقدم العنصر الذي يكون موضع الاهتمام والعناية؛ فيتقدم الفاعل على الفعل لا على نية التأخير، وإنما لينتقل من وظيفته الإعرابية ليصبح مبتدأ، فيكون أول العناصر وقوعاً على فكر السامع.

وقد استخدم الشعراء الهذليون هذا النمط في الديوان بشكل واضح، وورد بتراكيب لغوية مختلفة توزعت بين مختلف الشعراء، وجاءت على وفق الصور الآتية:

١- فاعل في المعنى + فعل + فاعل أصيل.

يتقدم الفاعل في الجملة الفعلية في سياق جملة مثبتة فيترك إعرابه الأصلي، ويصبح له إعراب آخر، إذ إن الاسم المتقدم يكون فاعلاً في المعنى. وأذكر مثالاً على هذه الصورة قول أبي خراش:

الله يعلم ما تركت منبّها عن طيب نفس فاسألوا أصحابي [1]

جرى التقديم في جملة (الله يعلم)؛ حيث تقدم الاسم لفظ الجلالة (الله) الفاعل في المعنى على الفعل (يعلم)، وترك مكانه ضميراً مستتراً يقوم مقامه، وجاء الاسم المتقدم على صورة اسم صريح منفرد فخرج التركيب الإسنادي عن أصله الترتيبي.

---

[1] ديوان الهذليين، مطبعة دار الكتب المصرية / القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٥م. الجزء الثاني، الصفحة (١٦٩)، رقم البيت (٧). أقوم بترتيب الهوامش المتعلقة بالديوان على هذه الشاكلة فيما يأتي أي الجزء: الصفحة: رقم بيت الشعر في الصفحة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقول أبي المثلم:

يا صخرَ هم يبعثون النّوح منقطع اللـّ يل التّمام كما تستوْلة العجلُ[1]

تقدم الضمير (هم) على الفعل (يبعثون) في جملة (هم يبعثون)، إذ إن الاسم المتقدم هو الفاعل في المعنى، والفاعل من حقه أن يلي الفعل، فتقدم وترك ضميراً متصلاً يقوم مقامه إعراباً ووظيفة، فأصبح هو مبتدأ، وحافظ على فاعليته في المعنى.

وقول حذيفة بن أنس:

ونحن جزرنا نوفلا فكأنّما جزرنا حماراً بأكل القرْف أصحرا[2]

تصدر الضمير المنفصل (نحن) الجملة التي تحتوي على فعل (جزرنا)، فكان هذا الضمير هو الفاعل في المعنى. والفاعل اللفظي هو الضمير المتصل بالفعل (نا).

٢- أداة نفي + فاعل في المعنى + فعل + فاعل أصيل.

يتقدم الفاعل على الفعل في سياق منفي، فيتسلط النفي على ذاك الاسم المتقدم المقصود بالنفي، ويبتعد عن نفي وجود الفعل. وقد استخدم هذه الصورة على سبيل المثال

أبو ذؤيب في قوله:

لعمرك ما عيساءَ تتبعُ شادناً يعنٌّ لها بالجزْع من نخب النُّجلِ[3]

حلّ الفاعل محل الفعل في جملة (ما عيساء تتبع شادنا)؛ حيث تقدم الاسم (عيساء) على الفعل (تتبع) وأصبح مبتدأ. وسبقت هذين العنصرين أداة نفي هي (ما).

---

[1] الديوان ، ٢: ٢٣٤: ٢. العجل: هي التي أكل السبع ولدها أو مات.

[2] المصدر السابق، ٣: ٢٠: ٣.

[3] المصدر السابق، ١: ٣٥: ٢. عياء: ظبية بيضاء. شادنا: يعني ولدها. النجل: النز، وهو ماء يظهر من الأرض ثم يجري.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتبعاً لانحراف العنصريين عن موقعهما الأصلي فإن النفي موجه إلى الاسم المتقدم، لا إلى الفعل.

ووردت عند ساعدة بن جؤية كذلك في موطن آخر في قوله:

وما مغزل تقرو أسرّة أيكة منطّقة بالمَرد ضاف بريرُها[1]

جرى التقديم في جملة (ما مغزل تقرو أسرة)؛ حيث تقدم الفاعل (مغـــزل) على الفعل (تقرو) وسبقهما معاً أداة النفي (لا).

٣- أداة نفي + فاعل في المعنى + جار ومجرور + فعل + فاعل أصيل.

يرافق تقديم الفاعل أحياناً تقديم عنصر آخر من حقه التأخير، فيذكـــر بعـــد الفعل. وقد وردت هذه الصورة عند أبي ذؤيب مرتين يقول:

فما أمُّ خشف بالعلاية شادن تَنوشُ البرير حيثَ نال اهتصارها[2]

لازم الجار والمجرور (بالعلاية) الفاعل المركب (أمُّ خشف) تقديمـــاً، إذ إن الفعل (تنوش) انزاح عن أداة النفي (ما) بمساحة تسمح للعنصرين (الفـــاعل، والجـــار والمجرور) الإحلال فيها.

بعد أن عرضنا إلى الصور البنائية التي تشكلت فيها البنية التي تقدم فيـــها الفاعل على فعله، نتحدث عن الوظائف التي أنتجتها هذه الأشكال التركيبية. إن متابعتي لهذه التراكيب في شعر الشعراء الهذليين قد كشفت عن عدد من الوظائف المختلفة هي:

---

[1] الديوان، ٢: ٢١١: ٥. مغزل: أم غزال. المرد: ثمر الأراك. ضاف: كثير.

[2] المصدر السابق، ١: ٢٢: ٢، وانظر أيضاً، ١: ٣٦: ٢. تنوش التبرير: تتناوله. البرير: ثمر الأراك.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولا- الاختصاص:

يلجأ الشاعر إلى هذه الوظيفة متى أراد ن يخصص الفاعل بفعل مـــا، دون أن يشرك أحدا به، حيث يخرج الفاعل منفردا بالفعل، مختصا به، ومن ذلك قول خـــالد بن زهير:

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها وأول راضي سنة من يسيرها
فإن التي فينا زعمت ومثلها لفيك ولكني أراك تجورها
تنقذتها من عبد عمرو بن مالك وأنت صفي النفس منه وخيرها[1]

يخاطب الشاعر "خالد بن زهير" أبا ذؤيب وكان قد بعثه إلى محبوبتـــه (أم عمرو) رسولا قائلا: إن الذي فعلته أنا بأخذ محبوبتك (أم عمرو) منك، قد فعلته أنـــت قبلي بأخذك لها من ابن عويمر، فالطريق التي سرتها قد سرتها أنت؛ إذ إن أم عمـــرو كانت تختار خليلا آخر لها عند كبر خليلها فكما اختارتك وأنت رسول لابـــن عويمـــر، اختارتني وأنا رسول لك.

ويبدو لي أن الشاعر أراد أن يخص أبا ذؤيب بهذا الحدث في فترة زمنيـــة ما، فقال له (أنت سرتها)؛ حيث قدم الفاعل (أنت) على الفعل (سرت)، ليقول له: أنـــت الذي سلكت هذه الطريق قبلي لا أحد غيرك، فعليك أن تعترف بهذا ولا تنكره. وقد لجأ خالد بن زهير إلى هذا التركيب المنحرف عن الأصل، ليلفت انتباه أبي ذؤيـــب لـــهذا التركيب، وليؤكد له اختصاصه بالفعل، وليبرأ خالد بن زهير موقفه أمام أبي ذؤيب.

ثانيا: العناية والاهتمام.

يخرج الشاعر في بعض الأحيان الفاعل من موقعه الأصلـــي بعـــد الفعـــل فيقدمه عليه لا على نية التأخير لدلالة تحتمها ظروف النص. والاهتمام إحدى الوظائف التي تنتج عن مثل هذا التقديم، إذ إن الشاعر يقدم العنصر الذي يهتم به علـــى عنصـــر آخر لا يهتم بذكره أولا.

---

[1] االديوان، ١: ١٥٧: ٤-٦. تجورها: تجور عنها، تحيد. تنقذتها: تنجزتها وأخذتها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وظهرت وظيفة الاهتمام عند أبي قلابة في قوله:

هل تنسين حب القتول مطارد وأفل يختضم الفقار مسلس
عضب حسام لا يليق ضريبة في متنه دخن وأثر أخلس[1]

يتحدث الشاعر في هذين البيتين عن السيف، وعن قوته وصفاته الثابتة القوية التي لا تتغير مع مرور الزمن، وكثرة إستخدامه. وقد اختار الشاعر تركيباً لغوياً منحرفاً عن الأصل، فقدم الفاعل (أفل) على الفعل (يختضم) في جملة (وأفل يختضم الفقار) في البيت الثاني لأهميته، وليكون هو المحور في الحديث لجذب ذهن السامع له. وهذه الوظيفة لا تظهر إنتباه السامع للإسم (أفل) الذي هو محور الحديث لو جاء هذا الإسم في موقعه الأصلي في الجملة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] الديوان، ٣: ٣٢-٣٣: ٥، ١. أفل: سيف به فلول. يختضم: يقلع. الفقار: ما نبا من الظهر. عضب: القاطع. دخن: سواد. الأخلس: الذي في وسطه لون يخالف لونه.

ثالثاً: التأكيد.

تأتي هذه الوظيفة متى أراد المتكلم أن يؤكد للسامع أن الفاعل هو محور المعنى؛ إذ إن الشاعر يلجأ إلى استخدام التركيب المنحرف عن الأصل، ليؤكد أن الفاعل سيقوم بالفعل إذا كان السياق مثبتاً، أو أنه لن يقوم بالفعل إذا كان السياق منفياً. وأذكر هنا قول أبي ذؤيب مثالاً على ذلك:

لعمرك ما عيساء تتبع شادناً ... يعِنّ لها بالجزْع من نخب النَّجل
إذا هي قامت تقشعرُّ شواتها ... ويشرق بين اللِّيث منها إلى الصُّقل
ترى حَمَشاً في صدرِها ثم إنها ... إذا أدبرت ولّتْ بمكتنزِ عبل
وما أمُّ خشفٍ بالعلاية ترتعي ... وترمق أحياناً مخاتلة الحبلْ
بأحسن منها يوم قالت كليمةٌ ... أتصرمَ حبلِي أم تدوم على الوصلِ؟[1]

يتحدث الشاعر عن ظبية ابتعد عنها ولدها، وعن قلقها عليه، فهي تراقبه وتتطلع هنا وهناك بحثاً عنه حتى يبدو من كثرة حركتها ضمور في خصرها، وجمال في جيدها، واكتناز في جسمها، وقد شبه الشاعر محبوبته بصورة هذه الظبية بجامع حسن التلفت بينهما.

وقد تناول الشاعر تركيباً حراً في ترتيب عناصره؛ حيث قدم الفاعل (عيْساء) لا على نية التأخير عن الفعل (تتبع) في جملة (ما عيساء تتبع شادناً) في البيت الأول. وجاء بهذا التركيب المنحرف عن الأصل في سياق منفي، فسلط النفي على الاسم المتقدم، ليؤكد أن هذه الظبية التي تمتاز بحسن تلفتها ليست كمحبوبته التي تفوقها جمالاً.

كذلك سلّط الشاعر النفي على الاسم المقدم الذي كان من حقه التأخير في جملة (وما أمّ خشفٍ بالعلاية ترتعي) في البيت الرابع. ورافق تقديم الفاعل الجار والمجرور (بالعلاية) وذلك ليقدم الصورة بشكل دقيق. إذ إن الشاعر ينفي أن تكون (أمّ خشف) وهي تنتقل من مكان إلى آخر في ذلك الموضع الذي ذكر بأحسن من محبوبته.

---

[1] الديوان، ١: ٣٥-٣٦: ٢، ٣-١، ٣. عيساء: طبية بيضاء. النجل: النّزُ. الشواة جلدة الرأس. الصقل: الخاصرة. حمشا: دقة في صدر هذه الظبية. الخشف: الظبي أول مشية. شادن: ظبية منفردة عن القطيع.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لجأ إذن أبو ذؤيب إلى استخدام تركيبين العناصر فيهما منحرفة عن الأصل عندما وجد أن ظروف السياق الشعري تتطلب ورود وظيفة التوكيد. في حين لو جاء الشاعر بعناصر التركيبين السابقين في موقعهما الأصليين لما جاءت تلك الوظيفة التي تذهب الشك في أن محبوبته أجمل من الظبية البيضاء، ولكان المعنى لا توكيد فيه.

رابعاً: تقوية المعنى.

يذهب الشاعر في بعض الأحيان إلى تقوية المعنى الذي يريده عن طريق اختيار تركيب لغوي تتقدم فيه بعض العناصر، ويتأخر بعضها الآخر، ويخدم التركيب المنحرف عن الأصل الذي به تأتى وظيفة التقوية فكرة عند الشاعر.

وقد تبينت هذه الوظيفة في قول أبي ذؤيب:

ثلاثاً فلمّا استجيل الجها م واستجمع الطَّفلَ منه رُشوحاً
مرتهُ النُّعامى فلم يعترفْ خِلافَ النُّعامي من الشام ريحا
فَحطَّ من الحُزَن المغفِرا ت والطَّيرَ تلثَق حتّى تصيحا[1]

تُعدّ صورة السحاب عند الشاعر الهذلي صورة في غاية الأهمية، فهي ترمز إلى الخير الذي يطلب في الحياة القاسية، وإلى المحبوبة وعطائها وانقطاعها عن الشاعر. ويتحدث الشاعر هنا عن السحاب الذي ينزل المطر الغزير، وكيف انقطع هذا المطر بسبب الريح التي فرقته، وكيف عادت السحاب واستجمعت أجزاءها ثانية بمساعدة من ريح الجنوب، فهطل المطر، ونعم به الحيوان والطير.

إن الشاعر وهو بصدد الحديث عن المطر، وعن سعادة الكائنات به، اختار تركيباً يقوى فيه المعنى الذي يريده، فهو يعبر عما يكتنفه من شعور في السعادة لعودة المطر، والذي يعني عنده محبوبته التي كادت تنقطع عنه ثم عادت إلى وصله. وهذا التركيب هو (الطير تلثق) الذي جاء فيه الفاعل (الطير) متقدماً على الفعل (تلثق)، فخرج

---

[1] الديوان، ١: ١٣٢: ١-٣. النعامي: الجنوب. الحزن: إكام غلاظ. المغفرات: الأروى.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفاعل عن كونه فاعلاً، وأصبح مبتدأ تبدأ به الجملة، مما قوي به العنى الذي جاء نتيجة لعودة المطر. فأكد للسامع مدى تأثر الطير بهذا المطر، واستجابته له.

خامساً- مراعاة وحدة القافية.

يخرج تقديم الفاعل أحياناً عن كونه يتقدم لوظيفة معنوية، ويتقدم لوظيفة لفظية يتحكم بها الشكل الخارجي للعبارة، تهدف إلى مراعاة وحدة القافية. وأذكر من الأمثلة على ذلك قول أبي ذؤيب:

أتى قرية كانت كثيرا طعامها كرفع التراب كل شيء يميرها[1]

قدم الشاعر الاسم الفاعل في المعنى (كل شيء) على الفعل (يميرها) الذي يتصل بضمير المفعول به، لأجل وحدة القافية في القصيدة، إذ إن القصيدة تسير على قافية الهاء. وتبعاً لذلك فإن جاء الشاعر بالتركيب على الأصل لخرجت القافية عن وحدتها وهذا ما لا يجوز في الشعر.

وقول ساعدة بن جؤية:

لآبته الحوادث أو لأمسى به فتق روادفه تزول[2]

قدم ساعدة بن جؤية الاسم على الفعل في قوله: (روادفه تزول)؛ للحفاظ على وحدة القافية إذ إن قافية هذه القصيدة هي حرف (الام)، مما جعل الشاعر يؤخر الفعل (تزول) ليصبح الفاعل بعد الفعل ضميراً مستتراً لا يظهر، وليتقدم الفاعل فيصبح مبتدأ.

وقول بدر بن عامر:

أزعمت أني إذ مدحتك كاذب فشفيتني وتجاربي تشفيني.[3]

---

(1) الديوان، ١: ١٥٤: ٢. يميرها: يأتيها من الطعام.

(2) المصدر السابق، ١: ٢١٩: ٣. روادفه: مآخيرة.

(3) المصدر السابق،٢:٢٦٤:٢. وانظر على سبيل المثال أمثلة أخرى على هذه الوظيفة، ١:١٨٧:١ و٢: ٩٥: ٢. و ٣: ٩: ١. و ٣: ٧٧: ٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جرى التقديم في البيت السابق في جملة (تجاربي تشفيني)، حيث تقدم الفاعل (تجاربي) على الفعل (تشفيني) محافظة على وحدة القافية، في حين لو قال الشاعر: (وتشفيني تجارتي) لما جاء البيت بقافية متشابهة مع بقية الأبيات الأخرى في القصيدة.

وبعد العرض السابق لصور نمط تقديم الفاعل، وللوظائف التي نتجت عن مختلف تلك الصور في الديوان، نستنتج أن الفاعل لا يتقدم على نية التأخير، إذ إن الفاعل يترك في مكانه في بعض الأحيان ضميراً يقوم مقامه. هذا الضمير هو الذي يحل محله إعراباً.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانياً- تقديم المفعول به.

ينتقل المفعول به من مكانه الأصلي بعد الفعل والفاعل، فيتقدم على الفاعل وحدة مقتحماً عنصريين من خواصهما الترابط والتسلسل، أو يتقدم على الفعل والفاعل معاً متصدراً الجملة.

وقد شاع استخدام هذا النمط عند الشعراء الهذليين، حتى كان الأكثر استخداماً في الديوان بعد نمط تقديم الجار والمجرور الذي سيأتي لاحقاً، حفاظاً على صحة التقسيم والعرض. ويشير استخدام هذا النمط إلى أن المفعول به أكثر العناصر حرية في انتقاله من مكانه الأصلي ليحتل مكاناً آخر. وقد لاحظ ابن جني أن تقديم المفعول به شاع بين كلام العرب، يقول: "وذلك أن المفعول قد شاع عنهم واطرد من مذاهبهم كثرة تقدمه على الفاعل، حتى دعا ذلك أبا علي إلى أن قال: إن تقدم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه"[1].

وقد استخدم الشعراء الهذليون هذا النمط بتقديم المفعول به على الفاعل وحده تارة وبتقديم المفعول به على الفعل والفاعل معاً تارة أخرى، وقد جاءت أنماط تقديم المفعول به على الفاعل وحده وفق الصور الآتية:

١-فعل + مفعول به + فاعل.

يتقدم المفعول به في هذه الصورة فيفصل بين عنصرين متسلسلين في الذكر وهما الفعل والفاعل، وقد ورد هذا الترتيب بين الشعراء الهذليين بشكل كبير، وأذكر مثالاً على ذلك قول أبي ذؤيب:

فرمى لينفذ فرها فهوى له سهم فأنفذ طرتيه المنزع[2]

---

[1] الخصائص، ١: ٢٩٥.

[2] الديوان، ١:١٥:١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جرى التقديم في البيت السابق في جملة (فأنفذ طريته المنزع)؛ حيث تقدم المفعول به (طرّتيه) على الفاعل (المنزع)، ففصل بين الفعل والفاعل، عن طريق تحريك الفاعل أفقياً إلى الخلف، وإحلال المفعول به مكانة.

وقول أبي كبير:

فقد الشباب أبوك إلاّ ذكره فاعجب لذلك فعل دهر واهكر[1]

حلّ المفعول به ذو الرتبة المتأخرة عن الفاعل محلّه، وجاء الفاعل في موضع المفعول به، إذ إن العنصرين تبادلا موقعيهما، فحلّ المفعول به (الشباب) محلّ الفاعل (أبوك) في جملة (فقد الشباب أبوك).

وقول جنادة بن عامر:

إذا مس الضّريبة شفرتاه كفاك من الضّريبة ما استطاعا[2]

خرج المفعول به عن القاعدة الأصلية، التي وجدت له، إذ إن الأصل في المفعول به أن يذكر بعد العنصرين الأساسيين في الجملة، ففي الجملة (مس الضريبة شفرتاه) خرج المفعول به (الضريبة) عن موقعه الأصلي بعد الفاعل، وحل محله.

٢- فعل + مفعول به + ظرف + فاعل.

يتقدم المفعول به والظرف معاً على الفاعل في هذه الصورة، فابتعد الفاعل عن الفعل وسمح لركنين من حقهما أن يذكرا بعده أن يتقدما عليه. وفي ذلك دلالة معينة، وقد وردت هذه الصورة مرتين عند أبي ذؤيب، وهما:

هبطن بطن رهاط واعتصبن كما يسقي الجذوع خلال الدّور نضّاح[3]

---

[1] الديوان، ٢: ١٠١: ١. الهكر: أشدّ العجب.

[2] المصدر السابق، ٣: ٣١: ١.

[3] المصدر السابق، ١: ٤٦: ١. اعتصبن: اجتمعت عصبةً. النضاح: الذي يسقى.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

انتقل المفعول به (الجذوع) في جملة (يسقى الجذوع خلال الدور نضاح) من مكانه الأصلي بعد العنصرين الأساسيين في التركيب (يسقي) و (نضاح)، فتوسط بينهما، ورافقه تقديماً الظرف (خلال الدور). وتبعاً لهذا التغير بين عناصر الجملة ظهر تركيب جديد ذو معنى ودلالة جديدة.

وقوله:

سقى أمّ عمرو كلّ آخر ليلة حناتمُ سود ماؤهنّ ثجيجُ[1]

ترك المفعول به (أم عمرو)، والظرف موقعيهما بعد الفاعل، فحلا محله، وتأخر الفاعل (حناتم) عن الفعل في جملة (سقا أم عمرو كل آخر ليلة حناتم).

ووردت مرة واحدة عند حذيفة بن أنس في قوله:

وأخطأ عبدا ليلة الجزع عدوتي وإيّاهم لولا وقوها تحرت[2]

تحرك الفاعل (عدوتي) في هذا البيت إلى اليسار ليترك مكاناً لعنصرين آخرين، وهما المفعول به عبداً والظرف (ليلة) ليحلا محله، وليفصلا بينه وبين الفعل (أخطأ) ولم يكن هذا الترتيب ليأتي لولا القواعد النحوية تجيزه.

٣. فعل + مفعول به + جار ومجرور + فاعل.

يرافق الجار والمجرور المفعول به تقديماً، وقد أجازت القواعد النحوية هذا التقديم، ولجأ الشعراء الهذليون إلى هذه الصورة، فاستعانوا بها في تركيب جملهم للوصول إلى الوظيفة التي يريدونها ومن الشعراء الهذليين الذين استخدموا هذه الصورة أبو ذؤيب في قوله:

---

[1] الديوان، ١: ٥١: ٤. حناتم: السحاب في سواده. ثجيج: سائل.

[2] المصدر السابق، ٣: ٢٧: ١. عدوتي: حملتي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومالك بن خالد الخناعي في قوله:

والخُنس لن يَعجز الأيّام ذو حيد بمشمخرٌ به الظّيّان والآس[1].

فصل المفعول به (الأيام) بين الفعل (يعجز) والفاعل (ذو حيد) عن طريق تقدم المفعول به على الفاعل، وجاء التركيب الذي اختاره مالك بن خالد الخناعي (لن يعجز الأيام ذو حيد) في سياق منفي.

وبعد الحديث عن الصور التركيبية المختلفة التي ظهرت عن تقديم المفعول به على الفاعل وحدهُ انتقل للحديث عن الصور التي ظهرت نتيجة تقديم المفعول به على الفعل والفاعل معاً.

استخدم الشعراء الهذليون تقديم المفعول به على الفعل والفاعل معاً في شعرهم وقد ورد ضمن ثلاث صور مختلفة هي:

١- مفعول به + فعل + فاعل.

يتصدر المفعول به الجملة وفقاً لهذا الترتيب فتظهر العناية به في التركيب، وقد استخدم معقل بن خويلد هذه الصورة دون غيره من الشعراء وظهر ذلك في قوله:

وسود جعاد غلاظ الرّقا ب مثلهم يرهب الراهب[2].

تصدر المفعول به (مثلهم) الجملة (مثلهم يرهب الراهب) فظهر للقارئ وكأنه عنصر أساسي في الجملة يبدأ به.

---

[1] الديوان،٣: ٢: ١. الخنس: الوعول. الظيان: ياسمين البر.

[2] المصدر السابق، ٣: ٦٩ :١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد لاقى المطيّ بجنب عفر حديثٌ – لو عجبتَ له – عجيبُ[1]

جرى التقديم في البيت السابق في جملة (لاقى المطي بجنب عفر حديث)؛ حيث تقدم المفعول به (المطي) على الفاعل (حديث) ولازمه تقديماً الجار والمجرور (بجنب) فخرج ترتيباً جديداً موافقاً والقواعد الصحيحة.

وساعدة بن جؤية في قوله:

وحوافر تقع البراح كأنما ألف الزّماع بها سلام صلبُ[2]

تقدم المفعول به (الزماع) على الفاعل، ففصل بين الفعل (ألف) والفاعل (سلام) ورافقه تقديماً الجار والمجرور (بها).

٤. أداة نفي + فعل + مفعول به + فاعل.

يتقدم المفعول به أحيانا في سياق منفي، فتأتي تبعاً لهذه الصورة، ولهذا الترتيب وظائف مختلفة. وقد استخدم الشعراء هذه الصورة في الديوان، ومنهم أبو ذؤيب في قوله:

فتلك الّتي لا يبرح القلب حبّها ولا ذكرها ما أرزمتْ أمّ حائلِ[3]

حصل التقدم في جملة (لا يبرح القلب حبها)؛ حيث تقدم المفعول به (القلب) على الفاعل (حبها) في سياق جملة منفية بأداة النفي (لا).

---

[1] الديوان، ١: ٩٢: ٢.

[2] المصدر السابق،١: ١٨٦: ١. البراح: المستوى من الأرض. الزماع: الشعرات اللوتي يكن خلف الحافر. السلام: الحجارة.

[3] المصدر السابق،١: ١٤٥: ١. أرزمت: حنت. الحائل: " الأنثى من أولاد الإبل.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢- **مفعول به + ظرف + فعل + فاعل.**

رافق تقديم المفعول به على الفعل والفاعل في هذه الصورة الظرف، فأصبح وكأنه ملازم للمفعول به ذكراً، ولم ترد هذه الصورة عند الشعراء الهذليين إلا في موطن واحد عند قيس بن عيزارة في قوله:

يوما أراد لها المليك نفادها ونفادها بعد السّلام يريد[١]

جرى التقديم في قوله قيس بن عيزارة في جملة (نفادها بعد السلام يريد)؛ حيث تقدم المفعول به (نفادها)، والظرف (بعد السلام) على الفعل (يريد).

٣- **أداة نفي + مفعول به + فعل + فاعل.**

تقدم المفعول به في هذه الصورة في سياق منفي، ولم ترد هذه الصورة كذلك إلا في موضع واحد في قولِ البريق:

فَرفعت المصادر مستقيما فلا عينا وجدت ولا ضمارا[٢]

تقدم المفعول به (عينا) على الفعل (وجد)، وعلى الفاعل الضمير المتصل بالفعل، وتقدمت هذه العناصر مجتمعة أداة النفي (لا).

---

[١] الديوان،٣: ٧٥: ٤.

[٢] المصدر السابق،٣: ٦٢: ١. العين: ما عاينت،الضمار: الغائب تتبع أثره.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد تبين لي في الديوان إثر تتبعي لهذه الصور المختلفة التي نتجت عن نمطي تقديم المفعول به على الفاعل وحده، وتقديمه على الفعل والفاعل معاً وظائف مختلفة توزعت بين الشعراء الهذليين ولاستخدام الشعراء الهذليين هذا النمط بشكل كبير، فإنني سآتي على أكثر من مثال في الوظيفة الواحدة. والوظائف التي ظهرت عند الشعراء هي:

أولاً- الاختصاص:

يلجأ الشاعر إلى هذه الوظيفة متى أراد أن يخصص فعلا ما باسم معين، ولا يمكن لها أن تظهر إذا حافظ التركيب على ترتيب عناصره الأصلي. وقد ظهرت هذه الوظيفة في ديوان الهذليين عند عدد من الشعراء أذكر منهم: أبا ذؤيب، والبريق الخناعي، ومعقل بن خويلد.

يقول أبو ذؤيب:

فحطّ عليها والضّلوع كأنّها ... من الخوف أمثال السّهام النّواصل
فشرّجها من نطفة رجبية ... سلاسلة من ماء لصب سلاسل
بماء شنان زعزعت متنه الصبا ... وجادت عليه ديمة بعد وابل[1]

حل المفعول به (متنه) في التركيب الذي اختاره الشاعر في البيت الثالث (زعزعت متنه الصبا) محل الفاعل (الصبا)، فتوسط بين الفعل والفاعل. وقد جارى هذا الترتيب القواعد النحوية، ولم يخرج عن طريق صحتها.

يكمن في نفس الشاعر معنى أظهره بهذا الأسلوب المنحرف عن الأصل؛ ذلك أن أبا ذؤيب أراد من التركيب الذي اختاره تخصيص الفعل بالمفعول به، فرياح الصبا قد حركت من الماء البارد الذي يسيل من الجبل أعلاه حسب، ولم تحرك الماء

---

[1] الديوان، ١: ١٤٣-١٤٤: ١،٣،٢. الشنان: الماء البارد الذي يسيل من الجبل. زعزعت: حركت. متنه: أعلاه. النطفة: الماء.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كله، لأنها أبرد الرياح، ولأنها ليست برياح عاتية قوية، وإنما هي رياح خفيفة باردة، لا تحرك من الماء المجتمع إلا سطحه.

وقد اختار الشاعر هذه الوظيفة في البيت الشعري؛ لأنه أراد من اختصاصه الفعل بأحسن شيء من الماء، ومن الرياح أن يشكل صورة للماء الذي سيضعه فوق الخمرة التي مزجها بالعسل الذي لاقى الصعاب في الحصول عليه، وحتى تكون خمرته أشهى ما تتذوقه النفس.

ويقول البريق الخناعي:

ذهبت أعوده فوجدت فيها أواريّا روامس والغبارا [1]

فرقّعت المصادر مستقيما فلا عينا وجدت ولا ضمارا [2]

يريد الشاعر في التركيب (فلا عينا وجدت) نفي تخصيص الفعل (وجدت) بالمفعول (عينا) المتقدم. والنفي مسلط على الاسم المتقدم لبيان أنه غير مختص بالفعل، وأن هناك اسما آخر مختصا به هو (أواريا روامس والغبارا) الذي ظهر في البيت الأول؛ ذلك أن الشاعر وجد في الأرض التي ذهب إليها (أواريا وغبارا) إذ إن الفعل مختص بهذه الأشياء، ولا يختص بشيء آخر غيرها، وكأنه يقول: (أواريا روامس والغبارا وجدت لا عينا ولا ضمارا). وبينما لوقال: (فلا وجدت عينا ولا ضمارا)، لكان السامع بالخيار في نفي إيقاعه على أي مفعول شاء، ولغابت وظيفة الاختصاص من التركيب.

وتأتي الوظيفة نفسها عند معقل بن خويلد في قوله:

فيا ربّ حيرى جماديّةٍ تنزّل بها ندى ساكِب

مَلكت سراها إلى صبحها بشَعثٍ كأنّهم حاصب

---

[1] ذكر هذا البيت في الهامش في الديوان،٣: ٦١. الأري: المحبس،روامس: مندفنة ذاهبة.

[2] الديوان،٣: ٦٢: ١. المصادر: الطرق،العين: ما عاينت. الضمار: الغائب تتبع أثره.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لهم عدوة كانقصاف الأت ... يّ مدّ به الكدر اللاحبُ
وسود جعاد غلاظ الرّقا ... ب مثلهم يرهب الرّاهب.[1]

إن الشاهد في هذه الأبيات قوله (مثلهم يرهب الراهب) الذي جاء في البيت الأخير، إذ قدم الشاعر المفعول به (مثلهم) على الفعل والفاعل معاً (يرهب الراهب)، وذلك لتخصيص الفعل بالمفعول به دون غيره، فالراهب لا يخاف إلا هؤلاء القوم الشجعان، لا من غيرهم؛ لتفوقهم في القوة، والغلبة، والطغيان.

كذلك لا يحق للسامع في هذا التركيب أن يفكر بمفعول آخر غير المذكور، لأنه ثبت في الذكر أولاً في التركيب ، ولو قال الشاعر: (يرهب مثلهم الراهب)، لزالت وظيفة التخصيص، ولما ظهرت بهذا الأسلوب قوة القوم وشجاعتهم. وكما يحق للسامع بهذا التركيب أن يظن أن الذين يرهب جانبهم هم أناس آخرون غير المذكورين ،حتى يذكر المفعول به. وعندما يثبت فإن التركيب لا يخرج عن كونه تركيباً يحمل خبراً اعتيادياً للسامع لا غير.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] الديوان،٣: ٦٨-٦٩: ٣، ٤، ٥ – ١. انقصاف: اندفاع. الأتي: السيل الكثير.

ثانياً – العناية والاهتمام:

يتقدم العنصر الذي من حقه التأخير في بعض الأحيان للعناية وللاهتمام به، وقد تأتي وظيفة الاهتمام لتعظيم الاسم المتقدم، أو لتحقيره، أو لأنه يلازم الفكر. وقد وردت هذه الوظيفة بين الشعراء الهذليين بشكل واضح.

تناول أبو ذؤيب هذه الوظيفة في التركيب الذي اختاره في قوله:

سقى أمَّ عمرو كلَّ آخر ليلة حناتم سود ماؤهن ثجيج[1].

يدعو الشاعر في هذا البيت لأم عمرو بالسقيا التي تسعدها، وقد قرن الشاعر علاقته بمحبوبته بعلاقة المطر بالأرض، فكلما زاد المطر سقوطا زادت الأرض في العطاء، وكلما زادت محبة أبي ذؤيب لأم عمرو منحته أم عمرو حباً أكبر. فالعلاقة إذن بينهما متبادلة كالأرض والمطر.

ويبدو أن الشاعر مهتم بذكر السحاب، والمطر، ومحبوبته أم عمرو ولكنه مهتم بذكر محبوبته أم عمرو أكثر، ذلك أن المتكلم ينطق أولا بالاسم الذي يدور في خلده ويفكر به، ومن هنا كان الاهتمام من نصيب أم عمرو التي تقدمت على العنصر الذي يمثل الفاعلية في جملة (سقى أم عمرو كل آخر ليلة حناتم). وقد جاء ترتيب العناصر في هذه الجملة الثانوية مواكباًمع القواعد النحوية الصحيحة، التي ينتج عنها معنى واضح.

وتناول كذلك ساعدة بن جؤية هذه الوظيفة في قوله:

وما يُغنى أمرأ ولدٌ أُحمَت مَنيّتُه ولا مالٌ أثيلُ[2]

---

[1] الديوان،١: ٥١: ٤. الحناتم: الجرار الخضر. ثجيج: صبوب .

[2] المصدر السابق،١: ٢١٤: ١. أُحمت: حانت. الأثيل: المؤثل الكبير وهو المثمر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يوضح ساعدة بن جؤية أن الموت قدر محتوم لابد منه، ولا مفر منه، فهو يصيب كل انسان، ولا يستطيع أحد أن يحمي نفسه منه. وكل ما يكسب من مال وولد لا يساوي شيئا أمام الموت؛ فلا شيء يمنع العذاب، ولا يقف بوجهه.

وقدم ساعدة بن جؤية العنصر الذي يمتاز بعلو الشأن وهو: (امرأ) المفعول به في التركيب (ما يغني امرأ ولد)؛ ليبين أن هذا الذي يملك العظمة، والاهتمام لا يستطيع أن يقهر الموت. ومظهر الاهتمام به هو علو شأن الرجل الذي يجمع المال، والذي يملك الأولاد، وكأنه يقول: إن هذا الرجل الغني بأولاده، وبأمواله لا يستطيع دفع الموت عنه، ويبدو أنه أخر الفاعل (ولد)؛ لأنه أقل شأنا من المفعول به، ولو قال: (ما يغني ولد امرأ) لما أبرز العنصر الذي يملك شأنا عاليا، والذي تخرج به الوظيفة الجديدة، ذلك أن هذا التركيب لا يعطي إلا الخبر البعيد عن التأكيد والاهتمام. ويقول المنتخل كذلك في الوظيفة نفسها :

حار وعقّت مزنه الريحُ وإذ قاربه العرض ولمْ يشمل[1]

اختار المنتخل تركيبا منحرفا عن الأصل يتمشى والقواعد النحويه، حيث تقدم المفعول به (مزنه) على الفاعل (الريح) في التركيب (عقت مزنه الريح)؛ وذلك للوصول إلى غاية جديدة، هذه الغاية هي الاهتمام بالعنصر المتقدم؛ ذلك أن الشاعر هنا يتحدث عن السحاب: كيف بدأ كثيفا غزير المطر، وكيف أصاب الأرض بخيراته، وقد اهتم الشاعر بالسحاب لأتيانه بالخير، ثم ذكر الريح التي بددت السحاب، وفرقته لأنه غير مهتم بذكرها بقدر اهتمامه بأمر السحاب.

ويقول أبو خراش كذلك:

فجع أضيافي جميل بن معمر بذي فجر تأوى إليه الأرامل
طويل نجاد البزليس بجيدر إذا اهتز واسترخت عليه الحمائل
إلى بيته يأوى الغريب إذا شتا ومهتلك بالى الدريسين عائل[1].

---

[1] الديوان،٢: ٨: ١.

[1] المصدر السابق،٢: ١٤٨-١٤٩: ٤ -١،٢. بذي فجر: بذي معروف. الجيدر: القصير. الدريسان: الثوبان الخلقان.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قدم أبو خراش المعفول به (أضيافي) في جملة (فجع أضيافي جميل بن معمر) في البيت الأول؛ للاهتمام به دون الفاعل الذي ترك مكانه للمفعول به.

قال الشاعر هذه الأبيات في مطلع قصيدة رثى فيها زهير بن العجوة؛ وكان قد قتله جميل بن معمر بن حبيب بن حذامة يوم حنين، حيث وجده مربوطا في أناس أخذهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فضرب عنقه [1]. ويبدو أن الشاعر نتيجة لقتل زهير خائف على أضيافه، ومما سيجري لهم من بعد موته، لأن زهيرا الإنسان المعوان لهم الذي يملك الصفات المحببة لدى كل انسان، فهو يساعد المحتاج، والفقير الذي يلجأ إليه، فيعطه ويجود عليه من خيراته، فالمرثي هذا هو مصدر العطاء للأضياف، وهذا المصدر قد زال. مما جعل الشاعر مهتما بأضيافه وما سيحل لهم بعد موته، لذلك قدمهم على الفاعل، ولأنه غير مهتم بذكره فسواء عنده أكان القاتل جميل بن معمر أم غيره.

ويقول مالك بن خالد الخناعي:

يا مَيّ لا يعجز الأيام مجترئ ... في حومة الموت رزام وفرّاس
ليث هزبر مدل عند خيسته ... بالرّقمتين له أجر وأعراس [2].

إن الشاعر مهتم في هذا الشاهد بذكر (الأيام) التي تعني عنده الموت، وتبعا لهذا الاهتمام قدمه على الفاعل (مجترئ) في التركيب اللغوي (لا يعجز الأيام مجترئ). ومظهر هذا الاهتمام جاء من علو شأن الموت، وعظمته؛ لقدرته على كل كائن حي: القوي منه والضعيف. فالشاعر يخاطب امرأته (مي) التي تبكي على موت أولادها، ويبين لها أن الموت ذو شأن عظيم لا يستطيع أحد الهروب منه، فهو في المرصاد، حتى إن الأسد الذي يمثل صورة القوة، والغلبة، والشجاعة التي تخيف الإنسان يضعف أمامه، ولا يستطيع أن يهرب منه، فالموت والزمان هما الوحيدان القادران على إفناء هذه القوة.

---

[1] انظر: الديوان،٢: ١٤٨.

[2] المصدر السابق،٣: ٤: ٢،٣. حومة الموت: معظمه. رزام: يرزم على قرنه أي يبرك عليه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يبين الشاعر كذلك أن الرجل الشجاع صاحب البديهة، والذكاء لن يستطيع الإفلات من الموت، فكما أن الأسد الذي يتمتع بقوة تضاهي قوة هذا الرجل قد أهلكته الأيام فكذلك الرجل الذي يتمتع بالشجاعة سيهلك لا محالة.

وتبعا لظروف النص فقد أحسن الشاعر اختيار التركيب الذي تظهر فيه دلالة تعظيم الموت، والإعلاء من شأنه. وتأخيره الفاعل (مجترئ) لا يعني التقليل من شأن قوة الأسد، والحط من قدرته، واستحقارها أمام قوة الموت، ولكن هذه القوة، وقوة الرجل لا تساويان شيئا أمام عنصر الزمان المتمثل بالموت مهما عظمتا. بينما لو قال الشاعر: " لا يعجز مجترئ الأيام " لأبلغ السامع بأن الأسد لن يستطيع قهر الموت دون أن يوضح لماذا؟ وكيف؟.

ويقول حذيفة بن أنس:

وأخطأ عبدا ليلة الجزع عدوتي وإيّاهم لولا وقوها تحرت[1]

قدم حذيفة بن أنس في التركيب الذي اختاره (وأخطأ عبدا ليلة الجزع عدوتي) المفعول به (عبدا) على الفاعل (عدوتي)، ورافق تقديم المفعول به الظرف (ليلة الجزع)، لاهتمامه بذكر الذي وقع عليه فعل الفاعل، وليعلم السامع بأن القوم الذين كانوا هدف الغارة لم يصابوا به، فالعدوة أخطأته، وأصابت غيره، فجاء التركيب مناسبا لجو النص، ذلك أن مناسبة القصيدة قد قيلت " عندما خرجت بنو عمرو بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل مغيرين يريدون بني عبد بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانه، وقد كانوا عهدو هم في منزل، فظعنت بنو عبد بني عدي من ذلك المنزل ونزله بنو سعد بن ليث بن بكر، فبيتهم القوم وهم يظنون أنهم بنو عبد بن عدي، فأصابوا فيهم، وقتلوا منهم ناسا، وقتلوا غلاما كان فيهم مسترضعا، وهو ابن ربيعة بن

---

[1] الديوان،٣: ٢٧: ١. وانظر على سبيل المثال أمثلة اخرى على هذه الوظيفة: ١: ١١٣: ٢. و ١: ١٢٤: ٤. و ١: ١٥١: ٤. و ٢: ١١٦: ١. و ٢: ١٤٠: ١ و ٢: ١٥١: ٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحارث بن عبد المطلب، وهو الذي وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح"[1].

اهتم الشاعر إذن بذكر المفعول به أولاً؛ ليعلم السامع أن المقصود من الغارة هم قبيلة (عبدا) ولكن عدوته أخطأت ذلك، كما قدم (ليلة الجزع)؛ لينبه السامع إن الخطأ حصل في ليلة مظلمة ومفزعة. وأما تأخير الفاعل فلا يعني أنه ليس بذات أهمية؛ لعلم السامع به وبأهميته.

ثالثاً- التوكيد:

يتقدم المفعول به في بعض الأحيان؛ لتأتي وظيفة التوكيد، إذ إن الشاعر يلجأ إلى هذه الوظيفة ليؤكد مدى تعلق الاسم المتقدم بالفعل، أو ليؤكد صفة الاسم المتقدم. وليمنع الشك فيه. وقد استخدم الشعراء الهذليون هذه الوظيفة في أشعارهم، ومن الذين ظهرت عندهم أبو ذؤيب في قوله:

وذلك مشبوح الذّراعين خلجم خشوف إذا ما الحرب طال مرارها
ضروب لهامات الرجال بسيفه إذا عجمَت وسط الشّؤون شفارها
بضرب يقضّ البيض شدّة وقعِه وطعَن كركض الخيلِ تفلي مهارها [2].

قدم الشاعر المفعول به (البيض) في جملة (يقض البيض شدة وقعه) في البيت الرابع، ليؤكد قدرة وقوة سيف الشخص المرثي، وأخر العنصر المعهود له بالقوة، والذي لا يحتاج إلى أن يهتم به في الذكر لعلم السامع به، ولمعرفته بتلك الشجاعة من خلال الأبيات السابقة لهذا البيت.

أراد الشاعر أن يعلم السامع، ويؤكد له أن تلك القوة التي يعرفها قادرة على أن تكسر الحديد القوي الذي يلبسه المقاتل فوق رأسه ليحميه من ضربات السيف، فشبه

---

[1] الديوان،٣: ٢٦.

[2] المصدر السابق،١: ٣٠: ١،٢،٣. مشبوح: عريض. خلجم: طويل،يقض: يكسر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سرعة خروج الدم جراء الطعنه القوية من السيف بسرعة الخيل التي تحمي مهارها إذا رمحت ، فشدة الطعن بالأعداء تشبه شدة محبة الخيل لاولادها ، وغيرتها عليهم. ولو اختار الشاعر التركيب الذي تأتي فيه العناصر في مواقعها الأصلية نحو : (يقض شدة وقعه البيض) لما اعطى التركيب إلا الخبر الاعتيادي دون تأكيد أي عنصر كان.

ويقول أبو ذؤيب أيضا في قصيدة أخرى :

فلو كان حبل من ثمانين قامة وسبعين باعاً نالها بالأنامل
تدلّى عليها بالحبال موثّقاً شديد الوصاة نابل وابن نابل
إذا لسعته الدّبر لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل
....
فتلك التّي لا يَبرح القلب حبّها ولا ذكرها ما أرزمت أمّ حائل[1].

أخرج ابو ذؤيب المفعول به (القلب) في الشاهد السابق من موقعه الأصلي بعد الركنين الأساسيين في جملة (لا يبرح القلب حبها) ، وقدمه على الفاعل (حبها) ؛ ليؤكد مدى تعلق القلب بالخمرة ، التي لاقى الصعاب لأجل الحصول عليها.

وقد اختار الشاعر تركيباً مجارياً لظروف النص ؛ حيث تحدث عن كيفية جمع العسل من أعالي الجبال ، وعن المخاطر التي تواجه عند ذلك. كذلك بين كيف أن الهذلي يصر على جمع السعل رغم الصعاب التي تحيط به ، إذ إنه يعلق حبلا في الجبل ، ويتمسك به خوف السقوط ، فيتسلق إلى مكان العسل ، ثم يحاول جمعه بعد تفرق النحل بسبب الدخان الذي اشعله الهذلي ، كما أنه لا يبالي بالأذى الذي يلحق به أثناء لسع النحل إياه.

وبعد ان يجمع العسل ، ويمزج بتلك الخمرة الصهباء التي تنسي الهذلي المعانسلة التي لقيها ، التي لا يوجد مثلها في أي مكان ، يأتي الشاعر بتركيب يوضح فيه سبب جهده في الحصول على العسل. وهذا التركيب هو (لا يبرح القلب حبها) ، إذ إن سبب

---

[1] الديوان، ١: ١٤٢-١٤٥: ٣، ١: ٤. نابل: حاذق. النوب: التي تجيء وتذهب. أرزمت: حنت. الحائل:ولدها

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

معاناته حبه الشديد للخمرة وتعلقه بها. ولم يكتف الشاعر بإبلاغ الخبر كما هو ، وإنما أبلغه بدلالة جديدة تحمل معنى بليغا ، وتعبر عما يكتنفه من شعور ، فقدم المفعول به (القلب) على الفاعل (حبها) ؛ ليؤكد مدى تعلق القلب بتلك الخمرة التي واجه الصعاب للحصول عليها ، وابتعد عن التركيب الذي تأتي فيه العناصر في مواقعها الأصلية نحو :(لا يبرح حبها القلب)، لخلوه من الدلالة المقصودة ، ولعدم جريانه مع ظروف النص.

واستخدم ساعدةبن جؤية هذه الوظيفة في قوله :

يخشى عليهم من الأملاك بائجة من البوائج مثل الخادر الرزم
ذا جرأة تسقط الأحبال رهبته مهما يكن من مسام مكرة يسم[1].

جرى التقديم والتأخير في الشاهد السابق في جملة (تسقط الأحبال رهبته) ؛ حيث تقدم المفعول به (الأحبال) ففصل بين الفعل (تسقط) والفاعل (رهبته) . وأصل ترتيب التركيب هو : (تسقط رهبته الأحبال) ، إلا أن ساعدة بن جؤية ترك هذا الأصل ، ولجأ إلى الفرع ، ليقدم للسامع معنى بليغاً يناسب جو النص.

إن تقديم المفعول به (الأحبال ، وتأخير الفاعل) رهبته " لا يعني بالضرورة عدم أهميته ليذكر أولاً ، بل لأن ساعدة بن جؤية مدرك أن السامع لا يشك في قوة ذلك الشخص لما هو معهود عنه من القوة التي تقرن به أينما كان ، والأبيات الأولى تشهد بذلك فبعد أن تحدث الشاعر عن قوة الرجل الشجاع ، واطمئن لمعرفة السامع بتلك القوة وبعدم الشك فيها جاء بهذا الشاهد مؤخراً فيه الفاعل الذي يحمل معنى القوة لذلك الشخص ، ولما كان لا يشك في شجاعته وقوته ، فإن الشاعر لا يحتاج إلى تركيب ينبه به السامع إلى تلك الصفة ، وإلى تحققها عنده ، بقدر ما يحتاج إلى معرفة مدى قوة ذلك الشخص وقدرته.

من هنا اختار الشاعر تركيبا ملائما لجو القصيدة ، فقدم فيه المفعول به (الأحبال) ليؤكد للسامع ماذا بمقدور هذه القوة أن تفعل ، فليس المقاتل وحده هو الذي يخافه ، وإنما النساء الحبالى اللواتي يجلسن في بيوتهن أثناء الغزو تخاف منه ، حتى إن الواحدة منهن تلقي بحملها خوفا ، ورهبة من تلك القوة.

---

[1] الديوان، ١: ٢٢: ١-٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رابعا : التنبيه :

تأتي وظيفة التنبيه للفت انتباه السامع إلى عنصرها ، ويكون ذلك بتأخير العنصر الذي من حقه التقديم ، وتقديم العنصر الذي من حقها التأخير ، إذ إن الشاعر عندما يقدم عناصر من حقه التأخير يدفع السامع إلى معرفة العنصر الذي لم يذكر بعد ، والذي من حقه التقديم فيتظر ذكره .

وقد استخدم أبو ذؤيب تركيبا منحرفا عن الأصل وخرج بهذه الوظيفة ، وظهر ذلك في قوله :

لعمرك والمنايا غالبات ... لكلّ بني آب منها ذنوب
لقد لاقى المطيّ بجنب عفر ... حديث – لو عجبت له – عجيب
أرقت لذكره من غير نوب ... كما يهتاج موشيّ ثقيب
سبيّ منَ يراعته نفاه ... أتيّ مدّه صحر ولوب[1]

قدم أبو ذؤيب المفعول به (المطي)، والجار والمجرور (بجنب عفر) في جملة (لاقى المطى بجنب عفر حديث) في البيت الثاني ؛ ليلفت انتباه السامع إلى الخبر الذي سخبره به ، حتى يتمكن في ذهنه ، وليبعد عنصر التشاؤم الذي يتمثل بذكر الفاعل.

يتحدث الشاعر في البيت الثاني عن الخبر الذي لاقاه المطي بجنب منطقة تدعى (عفر) ، فابتدأ صدره يخاطب السامع به قائلا : (لقد لاقى المطئ بجنب عفر) حيث قدم فيه المفعول به ، والجار والمجرور ، وبهذا التقديم زادت المسافة بين الفعل والفاعل اللذين من حقهما أن يذكرا متتاليين ، وهذا البعد أحدث في نفس السامع تشويقا لمعرفة اين سيقع الفاعل بعد هذين العنصرين ، وما هو الفاعل الذي لاقى المطي.

وبعد أن يذكر الشاعر العنصرين اللذين من حقهما التأخير ، يكشف عن الفاعل الذي لاقاه المطي في عجز البيت ، (حديث لو عجبت له عجيب)، فهو يكشف عن خبر تفجع به ، وهو موت صديقه غريبا عن دياره وعن أهله كما في البيتين الثالث والرابع . ولا يعني ذلك بالضرورة ان أبا ذؤيب يخاف الموت ، ويخرج الموت ، ويجزع له ، بل

---

[1] الديوان، ١: ٩٢ : ١،٢،٣،٤. المطي : الرحال. بجد عفر: موضع. من غير نوب: من غير قرب. الموشي: المسمار.سبي : مجلوب.اللوبه: الحره.

©Arabic Digital Library-Yarmouk University

يراه قدرا لابد منه ، ولا يمكن الهروب منه ، فلكل انسان منه نصيب كما يشير في البيت الأول ، ولكن الشاعر أراد من التركيب (لاقى المطى بجنب عفر حديث) أن يعلم السامع بشدة حزنه على صديقه الذي مات بعيدا عن ديا ره وتبعا لذلك لم يستطع أن يبلغ السامع بخبر موت صديقه مباشرة بعد ذكر الفعل ، بل أخر هذا الخبر ، وقدم عناصر أخرى لا يتأتى من ورائها الأهمية مقارنة بخبر موت صديق الشاعر ، ولكنه أراد أولاً أن يلفت انتباه السامع إلى الخبر المفجع الذي سيخبره به بعد أن يتأكد أنه يسمعه، ثم يثير عنصر التشويق لدى السامع لمعرفة العنصر المتأخر الذي من حقه التقديم.

خامساً : مراعاة وحدة القافية :

يترك المفعول به مكانه أحياناً لفائدة لفظية تكمن في مراعاة وحدة القافية في القصيدة ، وهذه الوظيفة تبتعد عن المستوى العميق للتركيب ، وتنظر إلى المستوى السطحي له حسب . وأذكر من الشعراء الهذليين الذين استخدموا هذه الوظيفة بشكل واضحا أبا ذؤيب في قوله :

فرَمى لينفذ فرّها فهوَى له سهم فأنفذ طرّتيه المنزع.[1]

تقدم المفعول به (طرتيه) على الفاعل (المنزع) ، ففصل بينه وبين الفعل (أنفذ) في التركيب (فأنفذ طرتيه المنزع) ؛ للمحافظة على وحدة القافية في القصيدة.

ومالك بن خالد الخناعي في قوله :

غيال وأنشامَ وما كان مقفلي ولكنَ حمى ذاكَ الطّريقَ المراقبَ[2].

حصل التقدم في هذا الشاهد في جملة (حمى ذالك الطريق المراقب) ؛ حيث تقدم المفعول به (ذاك الطريق) على الفاعل (المراقب) محافظة على وحدة القافية إذ إن قافية

---

[1] الديوان ، ١: ١٥ : ١. طرتيه : ناحيتا جنبيه. المنزع السهم.

[2] المصدر السابق، ٣ : ١٠: ٥.غيال : شجر. أنشام: نوع من الشجر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القصيدة هي حرف " الباء " ، وباعادة الترتيب إلى موقعه الأصلي تخرج القافيـــة فـــي البيت عن صحتها.

وأبا بثينة في قوله :

سعيت لكُم على رجف وطرّ إذا لفحت وجوهكم الحرورُ[1].

حل المفعول به (وجوهكم) محل الفاعل (الحرور) في جملة (لفحـــت وجوهكـــم الحرور) مراعاةً لوحدة القافية في القصيدة.

وبعد عرض هذا النمط من التقديم ، وبعد تعرف الوظائف التي ظـــهرت مـــن الصور المختلفة لهذا النمط ، نستخلص أن المفعول به قد شاع استخدامه فـــي الديـــوان فقدم على الفاعل وعلى الفعل والفاعل . وكأن الشاعر الهذلي يختـــار الـــتركيب الـــذي ينحرف عن الأصل محتوياً على عنصر يتمتع بحرية كبيرة في الانتقال من مكان إلـــى مكان ؛ وذلك لانتاج أوفر عدد من الوظائف التي تساعده على تكوين المعنى بوضوح.

ثالثاً : تقديم الجار والمجرور والظرف :

ينتقل الجار والمجرور والظرف من مكانهما الأصليين بعد الأركان الأساسية في الجملة فيتوسطا بين ركنين متتابعين في الذكر ، كأن يتوسطان بين الفعل والفـــاعل ، أو بين الفاعل والمفعول به ، وقد ينتقلا من موقعيهما فيتصدرا الجملة.

وقد استخدم الشعراء الهذليون هذا النمط بشـــكل كبـــير ، إذ إن تقديـــم الجـــار والمجرور كان يرى بكثرة بين مختلف الشعراء وقد جاءت صور هذا النمط في الديوان وفق الأشكال الآتية :

١- فعل + جار ومجرور – ظرف + فاعل.

---

[1] الديوان ، ٣: ٩٦ : ٤. وانظر على سبيل المثال : ١: ١١١ : ١. و ٢: ٢٠٣ : ١. و ٣: ١: ٢.و ٣: ٥٠: ٣. و ٣: ٩٢: ٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يترك الجار والمجرور والظرف مكانهما في هذا الترتيب ، ففصلا بين عنصرين من خواصهما التسلسل في الذكر وقد شاعت هذه الصورة في الديوان . وأذكر من الأمثلة على ذلك قول أبي ذؤيب :

فلا يهنأ الواشين أنّي هجرتها وأظلم دوني ليلها ونهارها[1].

توسط الظرف ذو الرتبة المتأخرة عن الفعل والفاعل بينهما عن طريق تأخير الفاعل عن موقعه ، وتقديم الظرف ليحل محل الفاعل ، وظهر ذلك في جملة (أظلم دوني ليلها) ؛ حيث تقدم الظرف (دوني) وتأخر الفاعل (ليلها).

وقول صخر الغي :

ماذا تريدَ بأقوالٍ أبلّغها أبا المثلّم لا تسهلْ بك السّبلُ[2].

انحرف الجار والمجرور في جملة (لا تسهل بك السبل) عن موقعه الأصلي بعد الفاعل (السبل) فتوسط بين الركنين الأساسيين في الجملة.

وقول مالك بن الحارث :

وصمّمَ وسطهم سفيان لمّا ألمّ بهم عن الورد الشّياح[3].

جاء الظرف (وسطهم) في جملة (وصمم وسطهم سفيان) متقدماً على الفاعل سفيان الذي يلازم الفعل ذكراً.

٢- فعل + فاعل + جار ومجرور + مفعول به .

يتقدم الجار والمجرور والظرف كذلك فيفصل بين الفاعل والمفعول به ومن أمثلة هذه الصورة أذكر قوله أبي ذؤيب :

---

(1) الديوان، ١: ٢١: ٥.

(2) المصدر السابق، ٢: ٢٢٨ : ٣.

(3) المصدر السابق ، ٣: ٨٣: ٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أبلغ لديك معقل بن خويلد ملاكَ يهديها إليكَ هداتها[1].

جرى التقديم في جملة (أبلغ لديك معقل) ، حيث تقديم الظرف (لديك) على المفعول به ، إذ إن اصل الترتيب هو (أبلغ معقل لديك).

والبريق :

يشذّبّ بالسّيف أقرانه إذا فرّ ذو اللّمّة الفيلم[2].

تقدم الجار والمجرور (بالسيف) على المفعول به (أقرانه) في جملة (يشذب بالسيف أقرانه).

وعمرو بن الداخل :

فراغتّ فالتمستَ به حشاها وخرّ كأنّه خوط مَريجّ[3].

جرى التقديم في الشاهد السابق في جملة (التمست به حشاها) ؛ حيث تقدم الجار والمجرور) به (على المفعول به) حشاها.

٣- جار ومجرور + فعل + فاعل.

يتصدر الجار والمجرور في هذا النمط الجملة ، فيتقدم على الفعل والفاعل وقد ورد هذا النمط عند المتنخل في قوله :

به أحمي المضاف إذا دعاني ونفسي ساعةَ الفزع الغلاطِ[4].

---

[1] الديوان ، ١: ١٦٢: ٦.

[2] المصدر السابق ، ٣: ٥٧: ١.

[3] المصدر السابق ، ٣: ١٠٣: ٣.

[4] المصدر السابق ، ٢: ٢٦: ٣. الغلاط الذي يأتيك فجأة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تصدر الجار والمجرور (به) الجملة الفعلية (أحمي المضاف) ، فتقدم على الفعل ، والفاعل . إذ إن أصل الترتيب هو أن يتأخر الجار والمجرور نحو : (أحمي المضاف به). وظهر هذا النمط كذلك عند أبي خراش في قوله:

إلى بيته يأوي الغريب إذا شتّا ومهتلك بالى الدّريسين عائل[1].

حصل التقديم في قول أبي خراش في جملة (إلى بيته يأوي الغريب) ؛ حيث تقدم الجار والمجرور (إلى بيته) على الفعل (يأوي) فتصدر الجملة الفعلية.

وبعد أن عرضت الصور البنائية لهذا النمط من التقديم ، أعرض الوظائف التي نتجت عن هذه التقديم ، وقد تبين لي من الديوان الوظائف الآتية :

أولا – العناية والاهتمام :

تظهر وظيفة العناية والاهتمام بعنصر ما دون غيره في هذا النمط وتتضح هذه الوظيفة في التركيب عن طريق تقديم العنصر المهتم بذكره والذي من حقه التأخير ، وقد ظهرت هذه الوظيفة في قول أبي ذؤيب :

وما ضربٌ بيضاء يأوى مليكها إلى طنف أعيا براق، ونازل
تهالُ العقاب أن تمرّ بريده وترمي دروءَ دونه بالأجادل
تنمّى بها اليَعسوبُ حتّى أقرّها إلى مألفٍ رحب المباءةِ عاسل[2].

قدم الشاعر شبه الجملة (بها) على الفاعل (اليعسوب) في جملة (تنمى بها اليعسوب) في البيت الثالث ، ففصل بين الفعل (تنمى) وبين الفاعل ولم يكن الشاعر ليختار هذا التركيب اللغوي لولا معنى يكمن في نفسه لا يظهر إلا بهذا الترتيب بين عناصر الجملة ، وقد جاء هذا التركيب مواكبا لظروف النص ، ذلك أن ابا ذؤيب

---

[1] الديوان ، ٢: ١٤٩: ٢.

[2] المصدر السابق ، ١: ١٤١-١٤٢: ٥-٢،١. الضرب : العسل الأبيض الذي قد صلب. الطنف : مانتأ من الجبل وندر فيه. الريد: الناحية من الجبل. الدرء : العوج في الجبل . الأجادل : الصقور. المباءة : مرجع الإبل.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتحدث عن الغذاء وكيفية الحصول عليه وكيف أن الطريق لا تسلك بسهولة للوصول إليه ، فهي طريق وعرة صعبة والشاعر غير مبال بهذه الطريق الصعبة ، ولما لهذا الغذاء من ضرورة قدم شبه الجملة الحاملة لضميره وترك الترتيب الأصلي لها ، إذ إنه لو قال : (تنمى اليعسوب بها) لما ظهر العنصر الذي يعد محور الحديث في هذه الأبيات ، ولكان عاديا لا دلالة جديدة فيه.

ومن الأمثلة على ذلك قول المتنخل :

به أحمي المضاف إذا دعاني ونفسي ساعة الفزع الغلاط.[1]

يشكل السلاح عند الهذلي عنصراً أساسياً في الحياة ، لأنه في حالة صراع مع الأعداء لصعوبة العيش ، وقد وضح المتنخل أهمية السيف بالتركيب الذي اختاره ، حيث قدم الجار والمجرور (به) الحامل لضمير السيف على الجملة الفعلية (أحمي المضاف) فمن هذا التركيب تظهر أهمية السلاح ومكانته العالية لدى الهذلي ، فهو الذي يحمي الأنفس ، ويدافع عن كل من يطلب الحماية ، ولو قال الشاعر (أحمي المضاف به) لما أتت أهمية السيف ، ولكان الشاعر قد أخبر عن السيف بأنه يحمي المضاف دون تأكيد أهميته.

ثانياً : التوكيد :

يتقدم الجار والمجرور في بعض الأحيان ، لتأتي وظيفة التوكيد ، إذ إن الشاعر يلجأ إلى هذه الوظيفة ليؤكد فكرة تمكن في نفسه ، وقد ظهرت هذه الوظيفة في قول أبو خراش :

فجّع أضيافي جميل بن معمر بذي فجر تأوي إليه الأرامل
طويل نجاد البزّ ليس بجيدر إذا اهتزّ واسترخت عليه الحمائل
إلى بيته يأوى الغريب إذا شتا ومهتلك بالي الدّريسين عائل.[2]

يصف أبو خراش المرثي جميل بن معمر بصفات حسية ومعنوية ، يتميز بها عن غيره ، فهو طويل القامة ، كريم معطاء يذهب إلى بيته كل فقير محتاج ولا كتسابه هذه الصفات فإن موته فجع الأضياف ، إذ إن زواله يعني زوال الخير.

---

[1] الديوان ، ٢: ٢٦: ٣. المضاف : الملجأ. الغلاط : الذي يأتيك فجأة.

[2] المصدر السابق ، ٢: ١٤٨-١٤٩: ٤-٢،١ . الدريسان : الثوبان الخلقان. عائل : فقير.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لم يكتف الشاعر بإعطاء الخبر للسامع بتركيب بسيط بل لجأ إلى تركيب آخر منحـــرف عن الأصل مبالغة في تأكيد كرم المرثي ، وقد ظهر ذلك في البيت الثالث في جملة (إلى بيته يأوي الغريب) ، حيث قدم الجار والمجرور إلى بيته على الفعل (يـــأوي) ، فـــأكد للسامع كرم الشخص المرثي عن طريق تقديم ضميره.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثاً – إثارة التشويق:

تأتي هذه الوظيفة لإثارة عنصر التشويق لدى السامع فالشاعر يلجأ إلى تأخير عنصر ما يعد المحور في الحديث وتقديم عنصر آخر ، والسامع بدوره يتمشى مع الشاعر وينتظر ذكر العنصر المؤخر، وقد استخدم البريق الخناعي تركيباً أخرج هذه الوظيفة يقول:

لقد لاقيت يوم ذهبت تبغي بحزم نبايع يوما أمارا[1]

تدرج الشاعر في تقديم المشهد للسامع في جملة (لاقيت يوم ذهبت تبغي بحزم نبايع) فبدأ يعرض الحوادث أولا بأول، فبين للسامع أولا عنصر الزمان الذي ذهب فيه(يوم ذهبت)، عنصر المكان الذي ذهب إليه (بحزم نبايع) وأخر العنصر الرئيس الذي يعد هو المحور والبؤرة الرئيسة في الحديث. ولجأ الشاعر إلى هذا الأسلوب ليطمئن بأن السامع معه في الحديث، وبأنه ينتظر العنصر الرئيس، وليثير عنصر التشويق والرغبة لدى السامع لمعرفة ما هو الشيء الذي لقيه الشاعر.

رابعاً– مراعاة القافية:

يتقدم الجار والمجرور أحيانا لمراعاة وحدة القافية في القصيدة ليس لوظيفة معنوية، بل شكلية، وقد شاعت هذه الغاية في الديوان ومن الشعراء الذين ظهرت عندهم هذه الوظيفة أبو ذؤيب في قوله:

ولكن خبرّوا قومي بلائي إذا ما أسّاءلت عنّي الشّعوبَ[2].

قدم الشاعر شبه الجملة (عني) على الفاعل (الشعوب)؛ لمراعاة وحدة القافية في القصيدة.

وحذيفة بن أنس في قوله:

فأدبر يحدو الضّأن بالمتن مصعدا فلاقاهما بين القتائد جندبُ[3]

---

(1) الديوان،٣: ٦١ ٤. الحزم: الغليظ من الأرض،نبايع: اسم مكان أوجبل.

(2) االمصدر السابق،١: ٩٨: ١.

(3) المصدر السابق، ٣: ٢٣: ٥. وانظر على سبيل المثال: ١: ١٣٧: ٥ و ١: ١٥٦: ٥. و ٢: ٢٠٥: ٤. و ٣: ١٢٥: ٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

جرى التقديم في الشاهد السابق في جملة (لاقاهما بين القتـــائد جنـــدب)؛ حيث قدم الشاعر الظرف بين القتائد على الفاعل (جندب)، لمراعاة وحدة القافية.

وبعد الحديث السابق لبعض أنماط التقديم والتأخير في الجملـــة الفعليـــة، وتوضيحها بنية ووظيفة، انتقل إلى عرض نمطين للتقديم والتأخير في الجملة الاسمية هما الأول: المبتدأ والخبر والثاني المبتدأ والخبر، ومتعلقاتهما من جار ومجـرور، أو الظرف.

الجملة الأسمية:

أولاً- تقديم الخبر:

يتقدم الخبر على المبتدأ جوازاً في بعض الـــتراكيب؛ لاعطـــاء المعنـــى للسامع كما يريده المتكلم، وقد جاء تقديم هذا النمط وفق الصور الآتية:

١- الخبر (شبه جملة) + المبتدأ (معرفة):

ينتقل الخبر من موقعه الأصلي بعد المبتدأ فيحل محله، ويتصدر الجملـــة الاسمية، ويأتي الخبر في هذه الصورة إما جارا ومجرورا وأما ظرفا.
وقد وردت هذه الصورة عند الشعراء الهذليين، أمثال أبي خراش في قوله:

تراها صغارا يحسر الطّرف دونها ولو كان طودا فوقه فرق العصم[1]

اختار الشاعر تركيباً منحرفا عن الأصل، هو (فوقه فرق العصم)، حيـث قدم الظرف الذي جاء خبرا على المبتدأ المعرفة (فوق العصم).

والبريق في قوله:

لنا الغور والأعراض في كلّ صيغة فذلك عصر قد خلاها وذا عصر[2].

---

[1] الديوان،٢: ١٣١: ٣.

[2] المصدر السابق،٣: ٦٠: ٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جرى التقديم في الشاهد السابق في التركيب اللغوي (لنا الغـــور)؛ حيـــث تقدم الخبر الذي جاء بصورة الجار والمجرور (لنا) على المبتدأ النكرة (الغور).

وجنوب أخت عمرو ذي الكلب في قولها :

تمشي النّسُورَ إليه وهي لاهية مشى العذارى عليهنّ الجلابيبُ[1].

قدمت الشاعرة الخبر (عليهن) على المبتدأ (الجلابيب) في جملة (عليـــهن الجلابيب) فخرج التركيب عن ترتيبه الأصلي.

٢- الخبر (مفرد نكرة) + المبتدأ (معرفة):

من أمثلة هذا النمط قول أبي ذؤيب:

ما بال عيني لا تجفّ دموعها كثيرتشكّيها قليل هجوعها[2].

نقدم الخبر النكر (كثير) على المبتدأ المعرفة (تشكيها) في جملة (كثـــير تشكيها) وكذلك في جملة (قليل هجوعها)؛ حيث تقدم الخبر (قليـــل) علـــى المبتـــدأ المعرفة (هجوعها).

وقول أبي خراش:

رماح من الخطّيّ زرق نصالها حداد أعاليها شداد الأسافل[3].

حل الخبر النكرة على المبتدأ المعرفة في الشاهد السابق في جملـــة (زرق نصالها) وفي جملة (حداد أعاليها). حيث تقدم الخبر في الجملة الأولى (زرق) علـــى المبتدأ (نصالها) وكذلك في الجملة الثانية، إذ إن الخبر (حداد) جـــاء متقدمـــاً علـــى المبتدأ (أعاليها).

---

[1] الديوان،٣: ١٢٥: ٥.

[2] المصدر السابق،١: ٨٦: ١.

[3] المصدر السابق: ٢: ١٢٤: ١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقول مالك بن خالد الخناعي:

صَعب البَديهة مشبوب أظافرُه مَواثب اهرت الشّدقين هرماسَ[1]

جرى التقديم في قول مالك بن خالد الخناعي في جملة (مشبوب أظافره)؛ حيث تقدم الخبر النكرة (مشبوب) على المبتدأ المعرفة (أظافرة).

٣- أداة استفهام + خبر (جار ومجرور) + مبتدأ (معرفة).

وقد وردت هذه الصورة في موضعين في الديوان، وهما عند أبي ذؤيب، يقول:

لابدّ من تلف مقيم فانتظر أبأرض قومك أم بأخرى المصْرَعُ[2].

جلب الشاعر تركيبا منحرفا عن الأصل في سياق استفهامي، وظهر ذلك في جملة (أبأ رض قومك أم بأخرى المصرع)؛ حيث تقدم الخبر (بأرض) على المبتدأ (المصرع)، وسبق العنصرين معا أداة الاستفهام "الهمزة".

وبعد توضيح الأبنية التي نتجت عن تقديم هذا النمط، نطرق حقل المعنى والدلالة، لنتعرف على الوظائف التي نتجت من هذا النمط.

وأثناء تتبعي لهذه الأبنية المختلفة استطعت أن أجمع بعض الوظائف التي خرجت عن تقديم الخبر على المبتدأ. هذه الوظائف هي:

---

[1] الديوان، ٣: ٥: ١.

[2] المصدر السابق،١: ٣: ٤ :،وانظر ايضا،١: ١٦٤: ١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولاً- الاختصاص:

يقصد بهذه الوظيفة إعلان تخصيص الاسم المتـــأخر بالاســم المتقـدم، وانفراد به دون غيره، وقد ظهرت هذه الوظيفة عند بعض الشعراء الهذليين منـــهم، ساعدة بن جؤية في قوله:

فيم نساء النّاس من وتريّه ... سفنّجة كأنّها قوس تألب
لها إلدة سفع الوجوه كأنهم ... نصال شراها القين لمّا تركّب[1].

يهجو ساعدة بن جؤية امرأة من بني الديل بن بكر[2] ، ويشبهها بـالقوس، كما يشبه أولادها بالنصال لإظهار لون وجوههم المسودة المشربة بالاحمرار، ولمـــا كان الشاعر في صدد إظهار صفات المرأة والأولاد قصد إلى تركيب يؤكـــد فيـــه تخصيص هؤلاء الأولاد بهذه المرأة، وانفرادهم بها دون غيرها، فقال: (لها إلـدة)، إذ إن تقديم الخبر الجار والمجرور (لها) يتبعه تخصيص هذا الخبر بالمبتدأ.
والمعطل في قوله:

ودار من الأعداء ذات زوائد ... طرقنا ولم يكبر علينا بياتها
تواصوا بألاّ تقربنّ فأشعلتْ ... عليهمْ غواشيها فضلّت وصاتها
صمتنا عليهم جانبيهم بحلبة ... من النّبل يغشى فرّهمْ غبياتها
فأبْنا لنا مجْدَ العلاءِ وذكره ... وآبوا عليهمْ فلّها وشماتَها[3].

عاش الهذلي حياة بعيدة عن الأمن والاستقرار، فكثرت الحروب وكـــثر القتلى، وقد بادر الشعراء الهذليون في وصف شجاعة قبيلتهم، وإظهار مقدرتها علـــى النصر. وذهب المعطل في هذا الشاهد إلى اختيار تركيب يُظهر فيه مكانة قبيلتـــه، وإلى أن المجد مختص بهم لابغيرهم، وأن الهزيمة مختصة بالأعداء، فهو يقول: (لنـا مجد العلاء)، ويقول في العجز في البيت الرابع: (عليهم فلها)، وقـــد ظـــهرت هـــذه

---

[1] الديوان: ١:٢٢٠: ١-٢، سفنجة: سرعية، تألب: بنت. سفع الوجـــوه،حمـــر الوجـــوه،السـفعة: الحمـــرة إلـــى السواد،القين: الحداد.

[2] انظر: المصدر السابق، ١: ٢٢٠.

[3] المصدر السابق،٣: ٥٠: ١-٤. اشعلت: تفرقت عليهم. غبياتها: الدفعة من المطر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الوظيفة من تقديم خبر المبتدأ عليه، حيث تقدم الخبر الـــذي جـــاء بصـــورة الجـــار والمجرور (لنا) على المبتدأ (مجد العلاء) وكذلك تقدم الخبر في الجملة الثانية (عليهم) على المبتدأ (فلّها).

ولا يريد الشاعر بهذا التركيب أن يؤكد للسامع عظمة قومه، ولا أن يقلـل من شأن الأعداء لأن ذلك ورد في الأبيات السابقة عليه، وإنما لجأ إلى أسلوب التقديـم والتأخير ليؤكد للسامع انفراد قبيلته بالمجد، وليزيل الشك لديه، وليخص الهزيمة بقبيلة الأعداء.

وقيس بن عيزارة في قوله:

وقلتُ لهم شاء رغيب وجامل وكلّكم من ذلك المال شابعُ
وقالوا لنا البلهاء أوّل سؤلة وأعراسها والله عنّي يدافعُ[1]

جاءت وظيفة التخصيص في الجملة الاسمية في البيت الثاني (لنا البلهاء)؛ لتخص المبتدأ بالخبر؛ حيث تقدم في هذا التركيب الخبر الذي جاء بصـــورة الجـــار والمجرور (لنا) على المبتدأ (البلهاء)، ليخصها بهم لا بغيرهم.

وقد اختار الشاعر هذا التركيب ليجاري حدث قصته التي تتلخـــص بأنـــه كان أسيراً عند قبيلة تأبط شراً، وقد رغب في الحصول على حريته، ولا يتم له ذلـــك إلا بإعطائهم إبلاً وشاءً؛ لذلك أشار عليهم بأن يأخذوا من الشاء ما يريدون، كما ورد في البيت الأول، غير أن القوم طلبوا الناقة البلهاء، النجيبة الفارهة مـــع أعراســـها، فقالوا: (لنا البلهاء)، فهم يرغبون بأن تخصهم وحدهم دون غيرهم.

---

[1] الديوان، ٣: ٧٧: ١-٢. الرغيب: الكثير. البلهاء: ناقة الشاعر. أعراسها: أصحابها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا – التوكيد:

ظهرت هذه الوظيفة في ديوان الهذليين بين مختلف الشعراء. منهم أبـــو ذؤيب، وأبو خراش.

يقول أبو ذؤيب:

ما بالُ عينيَ لا تجفّ دموعها كثير تشكّيها قليل هجوعها[1]

لما كان أبو ذؤيب في هذه القصيدة يتحدث عن كثرة القتلى إثر الحـــروب التي كانت تثار على قبيلتهم، وعن شدة الحزن، وكثرة البكاء، كان لابد من أن يجـــد تركيباً يؤكد فيه كثرة البكاء على القتلى، فكان تقديم الخـــبر (كثـــيرُ) علـــى المبتـــدأ (تشكيها) هو ذلك التركيب؛ حيث قدم الشاعر فيه الخبر ليقوي الحكم، وليؤكد كـــثرة تشكي العين وكثرة بكائها.

ولم يلجأ الشاعر إلى هذا التركيب إلا لأنه أوفى في التعبير عن غرضـــه، وأوكد في إعلام السامع في الخبر المقدم. وبينما لو اختار التركيب الـــذي يحتفـــظ بعناصره مرتبة حسب الأصل لما ظهرت وظيفة التوكيد التي تناسب ظروف النـــص، ولبقي الخبر بعيداً عن إثارة نفس السامع فيه.

ويقول أبو خراش:

حسانُ الوجوه طيّبٌ حجزاتهم كريم نشاهم غير لفّ معازلِ
رماح من الخطّيّ زرقٌ نصالها حداد أعاليها شداد الأسافلِ[2]

إن حديث أبي خراش عن قبيلته، وعن اعتزازه بها، وبقوتها وبفروســـية قومه يطلب منه أن يؤكد هذا، حتى لا يترك مجالاً للشك لدى السامع، وقد تم ذلك عن

---

[1] الديوان، ١: ٨٦: ١.

[2] المصدر السابق، ٢: ١٢٣-١٢٤: ٤-١. زرق: بيض. النصال: الأسنة. وانظر على سبيل المثال، ١: ١٨٤: ١. و ١: ٢١٥: ١. و٢: ٧: ١. و ٣: ٢٥: ٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

طريق تقديم الصفة (زرق) على الموصوف المبتدأ (نصالها) في جملة (زرق نصالها). وتقديم الخبر (حداد) على المبتدأ الموصوف (أعاليها) في جملة حداد أعاليها؛ ليؤكد هذه الصفة، وليبين للسامع أن قبيلته قوية تتصف بصفات الفرسان الشجعان، إذ إن الرماح التي يستخدمونها لامعة بيضاء حادة لا يستخدمها إلا الأقوياء.

ثالثاً – مراعاة وحدة القافية:

يتقدم الخبر أحياناً على المبتدأ لمراعاة وحدة القافية في القصيدة، ومن ذلك:

قول ساعدة بن جؤية:

تَقدّم يوما في ثلاثة فتيةٍ بجرداء نصَب للغوازي ثغورها[1]

تقدم الخبر (للغوازي) على المبتدأ (ثغورها) في جملة (للغوازي ثغورها) مراعاةً لوحدة القافية.

وقول جنوب أخت عمرو ذي الكلب:

تمشي النّسورَ إليه وهي لاهيةَ مشي العذارى عليهنّ الجلابيب[2]

جرى التقديم في جملة (عليهن الجلابيب)؛ حيث تقدم الخبر على المبتدأ لمراعاة القافية.

---

[1] الديوان، ٢: ٢١٥: ٤.

[2] المصدر السابق، ٣: ١٢٥: ٥. وانظر على سبيل المثال، ١: ١٨٢: ٢. و ٢: ٣٤: ٢. و٢: ١٣١: ٣. و ٣: ١٢: ١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا – تقديم الجار والمجرور، والظرف:

يتقدم الجار والمجرور، والظرف، فيتوسطا بين عناصر الجملة الاسمية؛ (المبتدأ والخبر)، و(أسماء الأفعال الناسخة وأخبارها)، و(الأحرف الناسخة وأسمائها). وقد جاء التقديم في هذا النمط وفق صور متعددة التركيب. وقد ظهرت في الديوان الصور الآتية:

١- مبتدأ + شبه جملة + خبر.

من الأمثلة على هذه الصورة قول ساعدة بن جؤية:

يَتقي به نفيان كلّ عشيّة فالماء فوقَ متَونه يتصبّب[١]

تقدم الظرف (فوق متونه) على الخبر الذي جاء بصورة جملة فعلية (يتصبب) في جملة (الماء فوق متونه يتصبب).

وقول المتنخل:

حتّى يجيء وجنّ الليل يوغله والشّوك في وضح الرّجلين مركوزُ[٢].

جرى التقديم في جملة (الشوك في وضح الرجلين مركوز)؛ حيث تقدم الجار والمجرور (في وضح الرجلين) على الخبر (مركوز).

٢. خبر + شبه جملة + مبتدأ.

من أمثلة هذه الصورة قول أبي ذؤيب:

واعصوصبت بكرًا منَ حرجفٍ ولها وسط الدّيار زذيّات مرازيخ[٣].

---

[١] الديوان، ١: ١٦٩: ٢.

[٢] المصدر السابق، ٢: ١٦: ١.

[٣] المصدر السابق، ١: ١٠٨: ٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

توسط الظرف (وسط الديار) بين الخبر المتقدم (لها)، والمتبدأ المتـــأخر (رذيات مرازيح) في جملة (ولها وسط الديار رذيات مرازيح).

ومن الأمثلة على هذه الصورة كذلك قول مالك بن خالد الخناعي:

كأنّ ببطن الشّعب غربانَ غيلة ومن فوقنا منهم رجال عصائب[1]

تقدم الجار والمجرور (منهم) في جملة (من فوقنا منهم رجال عصـــائب) على المبتدأ المتأخر.

٢. **فعل ناسخ + اسم + شبه جملة + خبر.**

من ذلك قول صخر الغي:

معي صاحب داجن بالعزاة ولم يك في القوم وغلا ضعيفا[2]

جرى التقديم في جملة (لم يك في القوم وغلاً ضعيفاً)؛ حيث تقدم الجـــار والمجرور (في القوم) على خبر يكن (وغلاً ضعيفا)، فتوسط الجار والمجرور بيـــن اسم كان الضمير المستتر، وبين خبرها. ومنه كذلك قول أبي كبير:

ونضيت ممّا تعلمين فأصبحت نفسي إلى إخوانها كالمقذر[3]

تقدم الجار والمجرور (إلى إخوانها) على خبر أصبح (كالمقذر)، في جملة (فأصبحت نفسي إلى إخوانها كالمقذر).

ومنهم كذلك قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب:

بأنّك كنت الرّبيع المريع وكنت لمن يعتفيك الثّمالا[4]

---

[1] الديوان، ٣: ١٢: ١.

[2] المصدر السابق، ٢: ٧٦: ٢.

[3] المصدر السابق، ٢: ١٠١: ٤.

[4] المصدر السابق، ٣: ١٢٣: ١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جلبت جنوب أخت عمر تركيباً عناصره منحرفة عن الأصل، حيث قـــدم الجار والمجرور (لمن يعتفيك) في جملة (كنت لمن يعتفيك الثمالا) على خـــبر كـــان (الثمالا).

٤. حرف ناسخ + اسم + شبه جملة + خبر.

أذكر على هذه الصورة قول المتنخل:

لا تفتأ الدهر من سحٍّ بأربعة كأنّ إنسانها بالصاب مكتحل[1]

الشاهد في البيت في جملة (كأن إنسانها بالصاب مكتحل)؛ حيث قدم الجار والمجرور (بالصاب) فتوسط بين الاسم والخبر.

وقول البريق:

يظلّ بها الدّاعي الهديل كأنّه على الساق نشوان تميل به الخمر[2]

توسط الجار والمجرور (على الساق) بين اسم كأن الضمير المتصل، وبين الخبر (نشوان).

وبعد عرض الأنماط المختلفة لهذا التقديم ننتقل إلى عرض الوظائف التـــي نتجت عنه. هذه الوظائف هي:

أولاً – تنبيه السامع:

يأتي الشاعر أحياناً بتركيب يلفت فيه انتباه السامع إلى عنصر ما، فيظـــهر هذا العنصر محور الحديث، وعليه تبنى العنـــاصر الأخـــرى، ولا يكـــون هـــذا إلا بانحرافه عن موقعه الأصلي، بأن يتوسط بين عنصرين من خواصهما أن يتتابعا فـــي الذكر، أوبأن يتصدر جملة ما.

---

[1] الديوان، ٢: ٣٣: ٢.

[2] المصدر السابق، ٣: ٥٨: ٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من هذه الوظيفة قول أبي ذؤيب:

كأنّ إبنة السّهميّ يوْمَ لقيتها ... مُوشّحةٌ بالطّرّتين هميجُ

بأسفل ذات الدّبْرِ أفردَ خشفها ... فقد ولهتْ يومين فهي خلوجُ[1]

يرسم الشاعر صورة لظبية قد فقدت ولدها، ويوضح فيها حزنها الشديد على ولدها الذي انتزع منها انتزاعا، فهي حزينة ذليلة، منكسرة النفس. وترمز صورة الظبية عند أبي ذؤيب للمحبوبة، إذ إن حال محبوبته لبعده عنها كحال الظبية لبعد ولدها عنها. وقد كان الهذلي كما ترى "تورة الشملان" يقف عند غزلان الصحراء، ويتحدث عنها وصفا وتشبيها بمحبوباتهم[2].

وقد رسم الشاعر هذه الصورة في إطار زمني محدد، فالمحبوبة كانت حزينة عندما لقيها الشاعر، وكأنه أراد أن ينبه السامع على أنه لم يرها منذ فترة طويلة، ولم يعلم بأخبارها، وظهر ذلك من التركيب النحوي المنحرف عن الأصل الذي اختاره الشاعر؛ حيث قدم الظرف (يوم لقيتها)، ففصل بين إسم كأن (ابنة السهمي) وخبرها (موشحة)، وهذا التقديم ترك للسامع التفكير فيه في سبب تغيير العنصر عن موقعه الأصلي.

كما أراد الشاعر بهذا التركيب أن ينبه السامع إلى عنصر مهم من حقه التأخير قبل نهاية الجملة. بينما لو قال (كأن ابنة السهمي موشحة يوم لقيتها) لتمت الجملة، بوجود إسم كأن وخبرها، ولوقف السامع عند الأركان الأساسية للجملة دون الانتباه إلى العنصر الجديد الذي أضيف إليها وهو الظرف، وإن ثبت هذا العنصر فلا يرى فيه أهمية سوى ذكر الزمان، ولن تأتي الوظيفة السابقة، ولكان الخبر هنا موحيا بأنه يلتقي محبوبته دون انقطاع.

---

[1] الديوان، ١: ٥٩-٦٠: ٢-١. هميج: ضعيفة النفس. الدبر: موضع. الخلوج: التي اختلج ولدها منها، أي انتزع.

[2] انظر: أبو ذؤيب الهذلي، حياته وشعره. ص٧٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا – تقوية المعنى:

يتقدم الظرف على الخبر، فيتوسط بينه وبين المبتدأ؛ وذلك لوظيفة معينة، كأن يتقدم لتقوية المعنى، كما ظهر في قول أبي العيال:

وترى الرماح كأنّما هي بيننا أشطان بئر يوغلون ونوغل[1]

قدم أبو العيال الظرف (بين) على الخبر (أشطان)؛ ليقوي المعنى، ولتتضح الصورة. فالشاعر استخدم هذا التركيب المنحرف بعد إدراكه بأنه يخرج بالوظيفة التي يقوى بها المعنى، إذ إن الفريقين يتبادلان الرمي بالرماح، ليصيبا أكبر عدد، وليكون الفوز من صالح الفريق الذي يصيب أكثر. والتبادل بالرمي لا يكون إلا بين إثنين، فقدم الشاعر تبعا لذلك الظرف (بين) ليقوى المعنى.

وقد شبه الشاعر التبادل برمي الرماح بالحصول على ماء البئر، حيث إن الشخص يجمع من الماء ما هو بحاجة إليه. وكما أن الماء عنصر أساسي للعيش، فكذلك تبادل الرماح بين الفريقين، وإصابة أكبر عدد من الأعداء هو عنصر أساسي للفوز.

ثالثا – مراعاة القافية:

ظهرت هذه الوظيفة الشكلية عند أبي ذؤيب في قوله:

أجزت إذا كان السّراب كأنّه على مخزئلاّتِ الإكام نضيحُ[2]

جرى التقديم في جملة (كأنه على مخزئلات الإكام نضيح)؛ حيث تقدم الجار والمجرور على (مخزئلات) على خبر كأن (نضيح) مراعاة للقافية.

وظهرت عند ساعدة بن العجلان:

فلا تَعرِض لِذكر بني خثيم فإنّهم لذى الهيجا أسودُ[3]

---

[1] الديوان، ٢: ٢٥٥: ٤. الشطن: الحبل. وانظر على سبيل المثال، ٣: ٨٢: ٤.

[2] المصدر السابق، ١: ١٢٠: ١.

[3] المصدر السابق، ٣: ١٠٩: ٤. وانظر على سبيل المثال، ١: ١٢٨: ٢. و ١: ١٦٩: ٢. و ٢: ١١٦: ١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جرى التقديم في الجملة (فإنهم لدى الهيجى أسود)؛ حيث تقدم الظرف (لدى) على الخبر (أسود).

خلاصة ما سبق أن التراكيب اللغوية التي اختارها الشعراء الهذليون في ديوانهم، تدل على حسن نظم عبارتهم، وحسن التأليف بين الألفاظ، وحسن استعانتهم بقواعد النحو المرنة التي تسمح لهم باختيار التراكيب المناسبة لغرضهم، والذي يعبر عن المعنى المراد تعبيراً دقيقاً؛ إذ إن الشاعر الهذلي كان ينقل لنا الخبر في بناء تركيبي يحمل معنى جديداً إذا شعر بأن هذا التركيب سيخدمه، ويظهر المعنى، وتبعاً لهذا يقدم أحد أركان الجملة في التركيب الذي اختاره، فيخرج التركيب عنده صحيحاً في قواعده، عميقاً في معناه.

وقد تعددت أنماط التقديم والتأخير عند الشعراء الهذليين، وتفرعت تبعاً لذلك الصور البنائية، فتناولوا فيها العنصر الذي يتمتع برتبةٍ حرةٍ في الانتقال من موقع إلى آخر، فكان يتوسط بين ركنين متتابعين في الجملة تارةً، ويتصدر الجملة فيتقدم على عنصريها الأساسيين تارة أخرى.

وقد نتجت عن التراكيب اللغوية عند الشعراء الهذليين في الديوان وظائف متعددة، لم تكن هذه الوظائف لتظهر لو احتفظ التركيب بترتيب عناصره الأصلي، ولم يكن الهذليون يلجؤون إلى هذه الوظائف في أي موطن يشاؤون، بل إذا شعروا بحاجة إلى التقديم والتأخير بين عناصر الجملة في موطن معين، فعلوا ذلك. والوظائف التي خرجت عندهم هي: الاختصاص، والعناية، والاهتمام، والتأكيد، وتقوية المعنى، والتنبيه، والتشويق. كذلك ظهرت وظيفة أخرى تخرج عن تلك الوظائف المعنوية، وتنحصر في جانب الشكل، وتدخل ضمن الوظائف اللفظية وهي: مراعاة وحدة القافية.

وبهذا كله امتاز أسلوب الشعراء الهذليين بقوته، ورصانته، ومقدرته على التعبير عن أي معنى يراد، وقد جمع ديوانهم هذه الأساليب القوية التي توزعت بين مختلف الشعراء في الديوان.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاتمة

تتمتع اللغة بحركة مستمرة في إنتاج تراكيب متعددة تواكب الظروف المختلفة، ولا تتوقف عند حد معين. واللغة لا تختص باهتمامها بالإعراب، وكيفية تقديره، وبالتركيب الجاف البعيد عن المعنى حسب، بل تختص كذلك بالتراكيب والدلالات والوظائف الناتجة عن كيفية نظم المفردات في تركيب ما.

وظاهرة التقديم والتأخير ظاهرة لغوية تمنح اللغة المرونة والحيوية، وقد تناولها النحويون مبنى ومعنى واضعين لها نظاماً خاصاً في أصل الترتيب، وفي الخروج عنه، إذ إن من وظيفته الإعرابية ليصبح مبتدأ وفي ذلك خلاف. والأصل في المفعول به أن يتأخر عن الركنين الأساسيين في الجملة وقد يتقدم على نية التأخير، وقد يتقدم لا على نية التأخير. والأصل في الخبر أن يلي المبتدأ، وفي: المبتدأ أن يتقدم على الخبر، وقد يتقدم لا على نية التأخير. والأصل في الخبر أن يلي المبتدأ أن يتقدم على الخبر، وقد يتقدم لا على نية التأخير.

ويخرج الأصل التوليدي عن مساره في بعض الأحيان تبعاً لظروف النص، ودواعي السياق، ولا يكون ذلك إلا في الرتبة الحرة الحركة، إذ إن هناك عناصر تتمتع بحرية تامة في الانتقال من موقع إلى آخر، وهناك عناصر تتصف برتبة مقيدة، فلا تنتقل من موقعها. وينتج عن خروج العناصر من موضعها وظائف متعددة تم توضيحها في الفصل الثاني من هذه الدراسة. ويذهب المتكلم إلى تغيير موقع الرتبة الحرة إلى موقع آخر تبعاً لمعنى محدد؛ إذ إن ترتيب الكلمات في جملة ما يتبع ترتيب المعاني في النفس كما قال **عبدالقاهر الجرجاني** "وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك إلا لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس".

جاء البلاغيون، فتابعوا ما بدأ به النحويون متأثرين بدراسة النحويين لهذه الظاهرة؛ إذ إنهم تناولوا العناصر التي تمتع بحرية في الانتقال من موقع إلى آخر كما

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نصّ عليها النحويون، وابتعدوا عن تناول العناصر ذوات الرتب المفيدة. وعالجوا هـــذه الظاهرة معنى بشكل دقيق، مبينين عدداً كبيراً من الوظائف التي تخـــرج عـــن ترتيـــب العناصر في جملة ما. وقد استعانوا بعلم النحو في صحة تناولهم للتراكيب اللغوية، وقـــد بدأ هنا بعبدالقاهر الجرجاني في نظرية النظم التي أخرجها في كتابه "دلائل الاعجاز".

وبعد هذه الرحلة الطويلة في معالجة أسلوب التقديم والتأخير بيـــن النحوييـــن والبلاغيين، بينت الدراسة من خلال مسألة تقديم وتأخير العناصر أن العربية قادرة علـــى التعبير عن المعنى المقصود، وذلك عن طريق الكم الهائل من التراكيب التي تنتجها،ممـــا يكسبها المرونة،والحيوية في التعبير.

وضحت الدراسة كذلك كيف أن العناصر تمـــر بمراحـــل مـــن الانحـــراف، والتعبير، والتبديل؛ لإخراج المعنى بشكل دقيق. وكيف أن التقديم يكون علـــى وجـــهين: تقديم على نية التأخير، وذلك بأن يحافظ العنصر المتقدم على وظيفتـــه الإعرابيـــة، فـــلا يتركها. وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن ينتقل العنصر من حكم إعرابي إلـــى حكم آخر، فيدخل بابا غير بابه. فالفاعل مثلا يتقدم لا على نية التأخير عند البصريـــين، وينقدم على نية التأخير عند الكوفيين. وإن اختلف الفريقان في إعراب الاسم المتقدم على الفعل، فإنهم اتفقوا على فاعليته معنى.

اشترك النحويون والبلاغيون في أن ترتيب الكلمات في الجملة إما أن يكـــون ترتيبا حرا، تتقدم وتأخر فيه بعض العناصر، ويكون ذلك في حال وجود القرائن اللفظيـــة، كالحركات الإعرابية، والقرائن المعنوية. وإما ترتيبا مقيدا، لا تتقـــدم فيـــه الألفـــاظ ولا تتأخر. وأي تغيير في ترتيب عناصر الجملة ذات الرتب الحرة يتبع ترتيب المعاني فـــي ذهن المتكلم، إذ إن المتكلم يلجأ إلى هذا الإسلوب، ليعبر عن المعنى تعبيرا دقيقا يواكـــب الظروف التي يعيشها.

لم يقتصر النحويون على وظيفة الاهتمام نتيجة عن التقديـــم والتـــأخير، بـــل تعرضوا لوظائف أخرى، وأدركوا أهمية الارتباط بين تكوين التراكيب، والأغراض التـــي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعبر عنها، وظهر هذا واضحاً في الفصل الثاني من هذه الدراسة. ولم يقتصر غـــرض التقديم والتأخير عند النحويين والبلاغيين على مراعاة جانب المعنى، وإنما راعوا الجـانب الشكلي، كرعاية وحدة القافية في القصيدة في الشعر.

وتبين لي من خلال الدراسة أن ديوان الهذليين قـد جمـع أنماطـاً متعـددة للأسلوب التقديم والتأخير، فالشاعر الهذلي كان يعبر عن معناه بحسن اختياره للـــتركيب اللغوي الذي يواكب القواعد النحوية، حيث يترك الأصل في ترتيب العناصر في جملة ما، ويلجأ إلى الفرع فيه؛ وصولاً إلى الدقة في التعبير عما يكتنفه من مشاعر، فخرج الشـاعر الهذلي تبعاً لتنوع التراكيب التي استخدمها بوظائف متعددة ظهرت في الفصل الثالث مـن هذه الدراسة. كما تبين لي أن أكثر نمط في التقديم استخدم في ديوان الهذليين هو نمـــط تقديم الجار والمجرور، يليه نمط تقديم المفعول به، فنمط تقديم الفاعل.

وبعد فإنّ أسلوب التقديم والتأخير أسهم إسهاماً كبيراً في كثرة تراكيب اللغـــة وفي ذلك فوائد عظيمة أعانت المتكلمين على اختيار الإسلوب المناسب لظـروف النـص الذي يعيشه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثبت المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

١. **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة:** محمد الجرجاني، تحقيق: عبدالقادر حسن، دار نهضة مصر للطبع والنشر/ القاهرة.

٢. **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين:** كمال الدين أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، ١٩٨٢.

٣. **الإيضاح في شرح المفصل:** أبو عمرو عثمان بن عمرو (إبن الحاجب)، مطبعة العاني – بغداد.

٤. **الإيضاح في علوم البلاغة:** الخطيب القزويني، تعليق: محمد عبدالمنعم الخفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣.

٥. **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور:** ضياء الدين بن الأثير الجزري، تحقيق: مصطفى جواد، وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٦.

٦. **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية إبن مالك:** ومعه شرح الشواهد المعيني دار إحياء الكتب العربية/ عيسى البابي.

٧. **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:** عبدالقادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٧٩.

٨. **الخصائص:** أبو الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى/ بيروت.

٩. **دلائل الإعجاز:** عبدالقاهر الجرجاني، صححه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٠. **ديوان الهذليين:** مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٥م.

١١. **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:** بهاء الدين عبدالله بن عقيل الهمذاني، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٩٥.

١٢. **شرح الأشموني لألفية إبن مالك:** نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الأشموني، تحقيق: عبدالحميد السيد محمد عبدالحميد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

١٣. **شرح التصريح على التوضيح:** خالد بن عبدالله الأزهري، صحح بمعرفة لجنة من العلماء، دار إحياء الكتب العلمية.

١٤. **شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية:** ابن هشام الأنصاري المصري، تحقيق: هادي نهر، الجامعة المستنصرية/ بغداد. ١٩٧٧.

١٥. **شرح المفصل:** موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، عالم الكتب، بيروت. مكتبة المتنبي، القاهرة.

١٦. **الصاحبي:** أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي، القاهرة.

١٧. **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:** يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤.

١٨. **الفرائد الجديدة:** عبدالرحمن الأسيوطي، تحقيق: الشيخ عبدالكريم المدرس. أشرف على طبعها وعلق على شواهدها محمد الملا أحمد الكزني، وزارة الأوقاف، العراق، ١٩٧٧.

١٩. **الفوائد الضيائية:** نور الدين عبدالرحمن الجامي، تحقيق: أسامة الرفاعي، مطبعة وزارة الأوقاف، الجمهورية العراقية، ١٩٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢٠. **الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان:** شمس الدين أبي عبدالله المعروف إبن القيم إمام الجوزية، بإشراف لجنة تحقيق التراث، مكتبة الهلال، بيروت.

٢١. الفهرست: محمد بن إبي يعقوب إسحق (إبن النديم)، ضبطه وشرحه: يوسف علي طويل، وضع فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

٢٢. **الكتاب:** أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)، تحقيق: عبدالسلام هارون، عالم الكتب، بيروت.

٢٣. **كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان:** شرف الدين حسين بن محمد الطيبي، تحقيق: هادي الهلالي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

٢٤. **كتاب الكافية في النحو:** جمال الدين عثمان بن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢.

٢٥. **كتاب المقتصد في شرح الإيضاح:** عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٢.

٢٦. **الكواكب الدرية:** محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل، أشرف عليه: محمد الأسكندراني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧. **لباب الإعراب:** تاج الدين محمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني، تحقيق: بهاء الدين عبدالرحمن، دار الرفاعي، الطبعة الأولى، ١٩٨٤.

٢٨. **المحتسب:** عثمان بن جني، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصطفى حلبي، ١٩٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢٩. **مختصر العلامة سعدالدين التفتازاني:** على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني (ضمن شروح التلخيص) طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي/ مصر، ١٩٣٧.

٣٠. **المساعد على تسهيل الفوائد:** بهاء الدين بن عقيل، تحقيق: محمد بركات، مركز البحث العلمي، إحياء التراث الإسلامي، السعودية، ١٩٨٠.

٣١. **المصباح في المعاني والبيان والبديع:** بدر الدين بن مالك (ابن الناظم)، تحقيق: حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب.

٣٢. **المطالع السعيدة:** جلال الدين السيوطي، تحقيق: طاهر حمودة، الدار الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٠.

٣٣. **معاني القرآن:** أبو زكريا بن زياد الفرّاء، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠.

٣٤. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:** جمال الدين أبو محمد عبدالله إبن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧.

٣٥. **مفتاح العلوم:** يوسف بن أبي بكر السكاكي، ضبطه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣.

٣٦. **المقتضب:** محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

٣٧. **مقدمة ابن خلدون:** عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، المطبعة الثالثة، ١٩٧٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣٨. **منهاج البلغاء وسراج الأدباء:** أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد بن الخوجة، دار العربي الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١.

٣٩. **مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح:** لابن يعقوب المغربي (ضمن شروح التلخيص)، طبع بطبقة عيسى البابي الحلبي/ مصر، ١٩٣٧.

٤٠. **نهاية الأرب في فنون الأدب:** شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة.

٤١. **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز:** فخر الدين الرازي، تحقيق: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.

٤٢. **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع:** جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالسلام هارون، وعبدالعال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ثانياً: المراجع:

١. **أبو ذؤيب الهذلي:** نورة الشملان، عمادة شؤون المكتبات، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٠.

٢. **الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية:** مجيد عبدالحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤.

٣. الأصول دراسة أنبيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: تمام حسان، دار الشؤون الثقافية العامة/بغداد، ١٩٨٨.

٤. **البلاغة فنونها وأفنانها:** فضل حسن عباس، دار الفرقان، اربد، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢.

٥. **البلاغة والأسلوبية:** محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

٦. **بناء الجملة العربية:** محمد حماسة عبداللطيف، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

٧. **الفعل زمانه وأبنيته:** إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠.

٨. **من أسرار اللغة العربية:** إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الخامسة، ١٩٧٥.

٩. **النحو الوافي:** عباس حسن، دار المعارف/ القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٧٨.

١٠. **الوجيز في فقه اللغة:** محمد الأنطاكي، دار الشروق، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثا - الدوريات:

١. الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية: علي الجارم، مجلة "مجمع اللغة العربية، مطبعة وزارة المعارف العمومية، المجلد: السابع، الدورة (١٣-١٨)، ١٩٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University